

ترتيب مباحث البلاغة في مُصنَّفات المدرسة الفلسفيّة
عرضاً وتقويماً

د. سعيد بن عثمان الملا
قسم اللغة العربيّة وآدابها – كلية الآداب
جامعة الملك فيصل



ترتيب مباحث البلاغة في مُصنَّفات المدرسة الفلسفية عرضاً وتقويماً

د. سعيد بن عثمان الملا
قسم اللغة العربية وآدابها – كلية الآداب
جامعة الملك فيصل
soalmulla@Kfu.edu.sa

تاريخ تقديم البحث: ١٤٤٧/٠٧/٠٧ هـ تاريخ قبول البحث: ١٤٤٤/١٠/٢٤ هـ

ملخص الدراسة:

الناظر لعلوم البلاغة العربية يتساءل عن واقع منهج ترتيبها سواء على مستوى فنونها الثلاثة الرئيسة، أو على مستوى مباحث كل فنّ، في مؤلفات أصحابها، خاصة المدرسة الفلسفية المهتمة بالأطر المنهجية، ثم يتساءل عن دوافع هذا الترتيب، هل سيطر عليه دافع ترتّب نوع على نوع في الفهم، أم مرتبة النوع؟ وهل هما متلازمان؟ وما العوامل التي كان يُفترض أن تؤثر في منهج التأليف البلاغي على ترتيب المباحث البلاغية والنظرة لمراتبها؟ ولعلّ هذا البحث أن يلمّ شتات هذا الشعث، وينظر فيه بعين المنهجية العلمية، منطلقاً مما رسمه البلاغيون أنفسهم في تعريفهم للبلاغة.

الكلمات المفتاحية: مراتب، فلسفة، بلاغة، منهج، ترتيب.

The Arrangement of Rhetorical Topics in the Works of the Philosophical School: A Critical Presentation and Evaluation

Dr. Saeed bin Othman Al-Mulla

Associate Professor of Rhetoric and Criticism, King Faisal University, College of Arts, Department of Arabic Language and Literature

Abstract:

Scholars examining the sciences of Arabic rhetoric may question the method by which rhetorical studies were arranged, whether at the level of the three major branches of rhetoric or at the level of the topics within each branch in the works of rhetoricians, particularly those of the philosophical school, which was notably concerned with methodological frameworks and systematic organization. This inquiry further raises questions regarding the principles governing such arrangements: Were they primarily based on the sequential requirements of comprehension and understanding, or on the hierarchical status of rhetorical branches and topics themselves? Moreover, is there an intrinsic relationship between these two considerations? The study also investigates the factors that were expected to influence rhetorical composition and the organization of rhetorical topics, as well as perceptions of their relative ranks and significance. This research seeks to bring together these scattered issues and examine them through a rigorous scientific methodology, drawing upon the definitions and conceptualizations of rhetoric articulated by the rhetoricians themselves.

key words: Hierarchy, philosophy, rhetoric, methodology, arrangement.

المقدمة:

لا بدّ من القول بأنّ أعظم مناهج البحث - التي كانت لها يد طولى في ضبط علوم الدين، وعلوم العربية التي هي آله - هو المنهج العقلي الذي تجلّى إبان قرون التدوين العلمي، في كتابات المنظرين، ولم تكن البلاغة بمنأى عن علوم العربية في ذلك المنهج، ولو أمعنا النظر ومضينا في التقصي، لوجدنا تأثير البلاغة بمنهج المدرسة الفلسفيّة قويًّا، في ضبط بحوثها وتحديد دائرة درسها. وعندما نتحدّث عن مدرسة التأليف البلاغي الفلسفي، ونجعلها محور قضايا هذا البحث، فليس لأنّ مادّة البلاغة لم تكن إلا بها، وإمّا لأنّها كانت أول مدرسة في البحث البلاغي، تقوم على التنظير الخاضع لمنهج ترتيب المباحث، وتبويبها وفق منهج علمي معتبر، بطريقة يمكن بها لمّ شتات مباحث البلاغة؛ لهذا حظيت بالاهتمام لدى المنظرين بعد السكّاكي، نظماً وشرحاً وتجريداً وتحشية.

مدوّنة البحث:

البحث في حقيقته يتناول الأصول التأسيسية التي قامت عليها هيكلية المدرسة الفلسفية، لذا فإنّ المدونة محصورة بالكتب التي مثلت نقطة التحول ومنعطف الترتيب في هذه المدرسة، وتبدأ زمنياً من القرن السابع الهجري (عصر السكّاكي)؛ لكونه واضع هيكليتها الترتيبية المستقرة، وتستقر عند الشروح والتلخيصات التي أحكمت هذا الترتيب حتى القرن العاشر الهجري، ولعلّي أورد بعض النماذج المؤسّسة، لعلماء قبل هذه المدرسة كالإمام الرازي، وذلك في سياق تتبّع الجذور.

الدراسات السابقة:

جدلية أثر الرتبة على المرتبة في ترتيب مباحث الدرس البلاغي، مشكلة بحث، لم يُجِب عليها حتى يومنا هذا -بحسب اطلاعي- وإن كانت مثار جدل من لدن كتابات الأقدمين، وحتى يومنا هذا؛ إذ هي تعجّ بكثير من التساؤلات عن أسباب تقدّم بعض المباحث على بعض حتى في النوع الواحد، كما سنرى في كلام شرّاح التلخيص أنفسهم، وهناك دراسات حديثة يمكن أن يرجع لها في التعريف بالمصطلحات الشائعة التي يدور حولها هذا البحث، منها ما يلي:

١. البلاغة عند السكاكي، للعلامة أحمد مطلوب، وهي رسالته في الماجستير عام ١٩٦١م، وهو دراسة نقدية توثق منهج السكاكي في تقعيد علوم البلاغة (المعاني، البيان، البديع)، مبرزةً تحويله البلاغة من التذوق الأدبي إلى القالب المنطقي الصارم، مع تحليل أثره فيمن خلفه.

٢. المدرسة الكلامية وإسهامات علمائها في تطور مسار البلاغة العربية، لصليحة بلخيري، وهو مقال في مجلة تاريخ العلوم، العدد العاشر، ديسمبر ٢٠١٧م، جامعة العلوم الإسلامية، الجزائر. وهي لمحة مختصرة لبعض إسهامات المتكلمين خصوصاً من المعتزلة والأشاعرة في الدرس البلاغي العربي؛ لأنهم الأكثر اهتماماً بمجال الدفاع عن القرآن وإثبات إعجازه.

٣. التوجيهات العقلية عند المدارس الكلامية الإسلامية لفهم النصوص الدينية، لحيدر قيس الدايني، وهي دراسة عقدية نُشرت في مجلة الدراسات الإسلامية، بديوان الوقف السني، بالعراق عام ٢٠٢٢م عدد (٧٠) طرح فيها على وجه الخصوص التوجيهات العقلية عند المدارس الكلامية الإسلامية لفهم

النصوص الدينية والتعريف بالمدارس الكلامية ونشأتها وتسميتها، وتناول أيضاً فهم النصوص عند المدارس الكلامية.

الأسئلة التي يهدف البحث للإجابة عنها:

يمكن ردّ مشكلة البحث التي يسعى لحلّها، للأسئلة التالية:

- ما الواقع المنهجي الذي رتبت على أساسه مباحث البلاغة في المدرسة الفلسفية، وما مدى عكسه لنظرتهم في مراتبها؟
- ما هي العوامل التي يفترض أن تؤثر في منهج التأليف البلاغي على ترتيب المباحث البلاغية، والنظرة لمراتبها؟

منهج الدراسة:

اعتمدت في هذا البحث المنهج الاستقرائي ثم التحليلي للأسس المعرفية والمنهجية التي بُني عليها هذا الترتيب؛ لاستكشاف النسق الداخلي، والنظام المعرفي الذي تنتظم فيه مباحث البلاغة داخل المصنفات محلّ الدراسة، دون الانفصال عن السياق التاريخي والمقاصد التعليمية التي وجهت ذلك الترتيب.

خطّة البحث:

اقتضت أهداف البحث أن تكون خطّته وفق التالي:

- 1- تمهيد: يعرف بمصطلحات رئيسة لعنوان البحث، وتأثير تعددها وتداخل التعريفات على توجيه المراتب.
- 2- المبحث الأول: يعرض الواقع المنهجي لترتيب مباحث البلاغة في مؤلفات المدرسة الفلسفية، ومبررات ذلك.

٣- المبحث الآخر: يرسم العوامل المفترضة في ترتيب مباحث البلاغة والنظر لمراتبها.

٤- خاتمة: يُذكر فيها ما انتهى إليه البحث من نتائج، وتوصيات. والله أسأل العون والسداد، وعليه اعتمادي، إنّه نعم المولى، ونعم المعين.

تمهيد

الترتيب والمرتبة والترتب:

بادئ ذي بدء لا بدّ من التفرقة بين هذه المصطلحات وتحريرها، لإدراك الفروق بينها؛ لأن ذلك يفتح باب الجواب عن الأسئلة التي قامت فكرة هذا البحث عليها، كما أنه يهيئ للنتائج التي يتغيى البحث الوصول إليها، مما سبقت الإشارة إليه في المقدمة.

• الترتيب:

لغة: "التنظيم"^(١)، وفي اصطلاح المتناولين للمعارف بشكل عام: "وضع كل شيء في مكانه الطبيعي"^(٢)، وقد عبّر النحاة عن هذا المفهوم بمصطلح (الرتبة) عند حديثهم عن العمدة والفضلة^(٣) والتقديم والتأخير، وتابعهم البلاغيون، ومن هؤلاء: عبد القاهر الجرجاني الذي قسم التقديم إلى قسمين: تقديم يقال إنّه على نية التأخير، وتقديم لا على نية التأخير^(٤).
وكما نرى فاستعمالهم له بهذا المعنى لا يتعلق بالمكانة بل بالمكان.

(١) لسان العرب، مادة (رت ب).

(٢) كشف مصطلحات العلوم والفنون ١/٤١١.

(٣) مفهوم المرتبة النحوية ص ٨٦ - ٨٧.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز ص ١٠٦، واللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٠٨، والعلامة الإعرابية في الجملة

ص ٤٠٨.

● المرتبة:

المعنى اللغوي يدلّ على المنزلة أو المكانة^(١)، وفي اصطلاح المعرفين: منزلة النوع بين الأنواع التي تتصل به من قريب أو بعيد لعلاقة من العلاقات المنطقية، وهذه العلاقة في البلاغة هي كون المقدم من المباحث هو الأبلغ، سواء على مستوى الفنون أو مسائلها^(٢).

● الترتب:

لغة: تعني "استلزام الشيء لغيره وبنائه عليه"^(٣). وفي اصطلاح أهل المعارف العامة: تعلق كلِّ مبحثٍ علميٍّ بما بعده على جهة الاقتضاء، وافتقاره إلى ما قبله على جهة التأسيس، بحيث لا يتحقق المتأخّر إلا بوجود المتقدّم، ولا يُتصوّر استقلاله دونه، في نظامٍ معرفيٍّ تتسلسل فيه المباحث بينية اقتضائية منتظمة، يُراعى فيها التقدّم العقلي والمنهجي والوظيفي^(٤).

(١) ينظر: معجم الرياض للغة العربية المعاصرة (مرتبة).

(٢) ينظر: الكليات ص ٨٤٤.

(٣) الصحاح ٢/٢٦٥، وانظر: تاج العروس مادة (رتب) ٣/١٥٧.

(٤) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون، مادة: (ترتيب).

المدرسة البلاغية الفلسفية:

مع بروز معالم التأليف البلاغي، انقسمت مسالكه - كما يقول السيوطي - إلى اتجاهين: "طريقة العرب والبلغاء، وطريقة العجم وأهل الفلسفة" (١). ولعلّه يعني بالأوّل ما سمي فيما بعد بالمدرسة الأدبيّة، التي أسّس لها الجاحظ وسار في إثرها أبو هلال العسكري، الذي صرّح بمنهجه في التأليف البلاغي بقوله: "وليس الغرض في هذا الكتاب سلوك مذهب المتكلمين، وإنما قصدت فيه مقصد صنّاع الكلام من الشعراء والكُتّاب" (٢).

وأما الآخر فمدرسة المتأخرين التي انتهجها السكاكي ومن تبعه، وإذ أثرنا في هذا البحث وسم هذه المدرسة بـ(المدرسة الفلسفية) دون غيرها من التسميات الشائعة كـ(العقلية) أو (مدرسة المتكلمين)، فذلك لعدة اعتبارات منهجية؛ أهمها أن مصطلح (العقلية) يتسم بالعمومية الشديدة؛ إذ لا تخلو المدرسة الأدبية من أعمالٍ للعقل والتدبر، كما أنّ سُمها بمدرسة (المتكلمين) يربط العلم بمرجعية أصحابه المذهبية لا بمنهجهم الفني، في حين أنّ مصطلح (الفلسفيّة) هو الأدق في توصيف الآلية التي رُتبت بها مباحث هذا الفن؛ فقد استعارت هذه المدرسة من الفلسفة أدوات الحصر والتقسيم، واستخدمت المنطق الصوري في صياغة الحدود والتعاريف، فغدا (الترتيب) عندها قائماً على القسمة العقلية المستقصاة التي تميّز الفكر الفلسفي، مما جعل مادة البلاغة تُفرغ في قوالب معيارية صلبة، تتوخى الضبط والتقييد قبل التدوق والبيان.

(١) ينظر: حسن المحاضرة ص ١٩٠.

(٢) كتاب الصناعتين ص ٩.

تأثير تداخل التسميات والتعريفات على توجيه المراتب:

يرجع تداخل الأنواع البلاغية إلى بواكير التأليف البلاغي، يقول الخطيب القزويني واصفًا ذلك: "وكثيرٌ من الناس يسمي الجميع علم البيان، وبعضهم يسمي الأول علم المعاني، والثاني والثالث علم البيان، والثلاثة علم البديع"^(١). وبالرجوع للقرن الثالث نجد حقيقة ذلك، فقد عرّف الجاحظ (البيان) بأنه "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع الى حقيقته"^(٢). ومعلوم أنّ هذا التعريف الففاض يشمل فنون البلاغة الثلاثة، وهذا أمرٌ طبعيٌّ يطرأ على العلوم والفنون والمسائل، في طور نشأتها.

وبعلل أحد شرّاح التلخيص تسمية علوم البلاغة بالبيان، أنّه يرجع إلى أنّ معنى البيان هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير، ولا شك أنّ العلوم الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع، لها تعلق بالإبانة"^(٣).

فاسم "البيان" الذي سُميت البلاغة به - لما يكتنفه من دلالات واسعة - جعلته أيضًا يحظى بمكانة استثنائية في الذهن البلاغي، حتى بدا في نظر بعض البلاغيين^(٤) كأشرف علوم البلاغة وأوضحها صلةً بفكرة الإفصاح عن المعنى

(١) الإيضاح ٥١/١، ومن البلاغيين الذين أطلقوا على البلاغة اسم البيان: ابن وهب صاحب كتاب "البرهان في وجوه البيان" وابن الأثير صاحب كتاب المثل السائر، ومن أطلق على البيان والبديع اسم البيان الزمخشري في الكشف.

(٢) البيان والتبيين ٧٥/١.

(٣) ينظر: مواهب الفتاح في شروح التلخيص ١٥١/١.

(٤) كأبي هلال العسكري، والرازي على ما سيأتي لاحقًا.

وإبرازه، بل وأقربها إلى جوهر البلاغة نفسها. فاللفظ "البيان" يحمل في ذاته دلالة على الكشف والوضوح والإفصاح، وهي غايات كبرى في صناعة القول البليغ، مما أضفى عليه جاذبية جعلته يتصدر عناوين المؤلفات البلاغية^(١)، أو يُقدّم في ترتيب مباحثها^(٢)، ولو على حساب مقتضيات المنهج العقلي في تصنيف العلوم.

وإن كان الخلط في بواكير التأليف مقبولاً قبل تبلور الفنون واكتمال المسائل، كاختلاط البلاغة بالفصاحة، فهذا أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين يقول: "الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد، وإن اختلف أصلاهما؛ لأنّ كل واحد منهما إمّا هو الإبانة عن المعنى والاظهار له"^(٣). إلا أنّ ذلك لا يسيغ في مؤلّف من مؤلّفات المدرسة المنطقية في القرن السابع. وقد استوت مدارس التأليف على سوقها. لنجد الرازي (٦٠٦هـ) في نهاية الإيجاز يردّد أنّ: "أكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين الفصاحة والبلاغة"^(٤). ولعلّ ذلك عائد لكون الفصاحة شرط البلاغة، ثم إنّ المعنى اللغوي للفصاحة -وهو الإبانة- شفع لها بأن يتقدم بحثها على البلاغة؛ حيث إنّ الغاية الأولى للخطاب هي الإبانة عما في النفس.

(١) من ذلك البيان والتبيين للجاحظ، والتبيان في علمي المعاني والبيان للطبي.

(٢) ممن صدره الرازي في نهاية الإيجاز، والعلوي في الطراز على ما سيأتي.

(٣) ص ٢٥.

(٤) ص ١٤.

وكذلك نجد أحد شراح التلخيص يدافع عن هذا الخلط بقوله: "ولا مشاحة فيها لذوي الأبصار، وإنما الاعتبار لما نال مزيد الاشتهار"^(١). والحق أنّ التسامح في حدود المصطلحات بدعوى "عدم المشاحة" يُفضي إلى اضطراب المفاهيم، والاعتبار العلمي ليس لِمَا "اشتهر" تاريخياً، بل لِمَا انضبطَ معيارياً لتمييز وجوه الإعجاز وخصائص الإفصاح.

كما أنّ التداخل بين المفاهيم لم يكن حصراً على البلاغة وشرطها الذي هو الفصاحة، بل طالها وطال أحد أنواعها، يدرك ذلك مَنْ تأمل تعريف علم البلاغة وعلم المعاني عند أرباب المدرسة الفلسفية، فمثلاً إذا طالعنا منظومة الجوهر المكنون في البلاغة^(٢) نجد أنّ صاحبها ينقل عن البلاغيين تعريفهم للبلاغة، بقوله:

وجعلوا بلاغة الكلام
طباقةً لمقتضى المقام
وعندما ينقل تعريفهم لعلم المعاني يقول:
علمٌ به لمقتضى الحال يُرى
لفظاً مطابقاً وفيه دُكرا

والمطالع لهذين التعريفين، يلمح ابتداءً ما بينهما من تمازج واضح، من حيث إنّ البلاغة مطابقة الكلام كلّ لمقتضى الحال، بينما علم المعاني هو مطابقة اللفظ لمقتضى الحال، فالعلاقة بين التعريفين علاقة (خاص) وهو اللفظ، ب(عام) وهو الكلام، فلا غرابة أن يتبوأ علم المعاني لديهم صدر المباحث الثلاثة، ما دام تعريفه يرتبط بتعريف البلاغة إلى حدّ التوافق في أكثر مفرداته.

(١) الأطول ١/١٩٨.

(٢) منظومة الجوهر المكنون ص ٢٣ - ٢٤.

أما الخلط الأكبر فكان من حظّ علم البديع، فقد جاء ابنُ المعتز (٢٩٦هـ) فجمع في كتابه البديع سبعة عشر نوعاً بديعياً جعل منها: الاستعارة والكناية، والالتفات والاعتراض، ومن الواضح أنّ اسم البديع بهذا الإطلاق كان رديفًا للبلغة، ففيه - خلا الأنواع البديعية - أنواعٌ ممّا اختص بها بعد ذلك علم البيان، وأنواعٌ من المعاني.

وقد استمرّ هذا الخلط بين الأنواع، في نسبتها لأيٍّ من العلوم الثلاثة لقرون متأخرة، من ذلك صنيع حازم القرطاجيّ (٦٨٤هـ) عندما جعل التناسب ذريعةً لجعل المطابقة والمقابلة والتفسير والتفريع من التشبيه؛ لأنّ التشبيه يتطلبها؛ فهي منه بسبب^(١).

* * *

(١) ينظر: منهاج البلغاء ص ٤٤ - ٤٦.

المبحث الأول

الواقع المنهجي لترتيب مباحث البلاغة في مؤلفات المدرسة الفلسفية

يمثل التراث البلاغي المنسوب إلى المدرسة الفلسفية مرحلة مفصلية في تاريخ تطوّر الدرس البلاغي العربي؛ إذ انتقلت البلاغة على يدي السكاكي، ومن سار في أثره من طور الصياغة الأدبية العامة إلى طور العلم المنظم المؤسس على التقعيد والتحليل المنطقي، فقد غدت مباحث البلاغة في هذا الطور منظومة متكاملة، ذات بناءٍ هرميٍّ دقيق، تتدرج فيه المراتب بحسب صلتها بالعقل والنظر أولاً؛ انعكاساً لرؤية معرفية ترى البلاغة علماً يخضع لمنطق العقل قبل أن يكون صناعةً للقول أو ذوقاً أدبياً.

وقد رسّخ السكاكي في كتابه مفتاح العلوم هذا الاتجاه حين جعل علم المعاني في صدر مباحث البلاغة، وعدّه الأساس الذي تُبنى عليه بقية الفنون؛ لأنه يتناول أحوال التراكيب في مطابقتها لمقتضى الحال، أي في جوهرها العقلي والدلالي. ثم تبيّن بعلم البيان بوصفه مظهرًا للتصوير العقلي في اللغة؛ إذ ينقل المعنى إلى صورٍ مختلفةٍ تُجلي المقاصد وتوضّح العلاقات بين المعاني، وختم بعلم البديع الذي يُعنى بجماليات التعبير، وعدّه تالياً رتبةً لما سبقه؛ لأنه فرعٌ عن تحقّق المعاني والبيان، وعلى هذا الأساس بُنيت المراتب البلاغية في المدرسة السكاكية على معيارٍ يقوم على القرب والبعد من جوهر المعنى، لا على الجمال اللفظي وحده.

وقد كان السكاكي محقّقاً في احتفائه بمنهج المنطق العقلي في التأليف في تلك الفترة ولتلك الفئة التي يخاطبها؛ إذ كان يتغيّى تدريس هذا العلم وتفهمه

للطلاب، والتفهم لا يقوم إلا على منطق العقل وهو أيسر سبل التعليم وأكثرها قابلية، لذا نجده قد رتب مباحث البلاغة الثلاثة وفق رؤية ترتبية، حيث يقتضي علم المعاني فهم التركيب، ويفتقر إليه البيان في إقامة الصورة، ويفتقر إلى البيان فن البديع الذي يزيّن ولا يفهم دون سابقه؛ فكل واحد منها مقتضى لما بعده، ومفتقر لما قبله، في نظام معرفي لا اعتباطي، فلهذا قدّموا علم المعاني على البيان، ثم البديع بعدهما، على وجه من الترتب المعرفي؛ إذ يفتقر البيان إلى المعاني ليفهم التركيب أولاً، ويقتضي البديع وجود البيان؛ إذ لا يُخيّل التزيين دون وضوح المعنى وصورته؛ فكل مبحث يطلب ما بعده اقتضاءً، ويفتقر إلى ما قبله تأسيساً، في ترتيب لا تعليمي فقط، بل اقتضائي بنوي ينبي على وظيفة كل مبحث في إنتاج البيان البلاغي الكامل.

وقد كان لهذا التصور وهذا الترتيب أثر عميق في مؤلفات من تلو السكاكي، كالفزويني حيث يقول: "ورتبته ترتيباً أقرب تناولاً من تناوله، ولم أبالغ في اختصار لفظه تقريباً لتعاطيه"^(١) وكذلك صنع من تبعه من شراح ومُلحّصين. إذ أصبح ترتيب المباحث البلاغية عندهم تجسيدا لمبدأ "الترتب لا المرتبة"؛ إذ لا يُقدّم الفنّ إلا بحسب منزلته المعرفية وارتباطه بالعقل والنظر. ومع ذلك، فإنّ التطبيق البلاغي في هذه المؤلفات قد كشف عن تداخل بين المراتب النظرية والمباحث الفنية، فغدا الترتيب في بعض المواطن أكثر استجابة للمنطق التعليمي منه للمنطق المعرفي؛ مما يستدعي تأملاً في واقع هذا الترتيب ومدى انسجامه مع مقاصد البلاغة في أصلها العربي.

(١) تلخيص المفتاح ص ٦٢.

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتبحث في واقع ترتيب مباحث البلاغة في مؤلفات المدرسة السكاكية، ولتستجلي الدوافع التي بُني عليها منهج ترتيب الفنون البلاغية في هذا الاتجاه، ومقدار اتّساقها مع ما تقتضيه طبيعة البلاغة من ترابطٍ بين النظر والفن، وبين العقل والبيان.

أولاً: علم المعاني:

لارتباطه بعلم النحو الذي هو خط الدفاع الأول عن حياض التراكيب اللغوية، وافتقار علم النحو لمبررات ذوقية، حفل علم المعاني باهتمام واسع من المنظرين^(١).

وقد دفعت هذه المكانة، التي احتلها هذا العلم العظيم إلى تشكّل صبغة منهجية، لم يكد منظرٌ في هذا العلم أن يتحرّر منها، وتمثّلت فيما يلي:

أ - تقديمه على بقية الفنون:

التنظيم المعرفي أداء يرمي إلى تنظيم المعرفة منهجياً على أسس منطقية، والهدف من التنظيم هو وضع كل علم في الرتبة اللائقة به، بحيث تؤلّف العلوم بناءً يكون فيه لكل علم مرتبة خاصة على وفق متطلبات البحث العلمي^(٢).

ولقد تنوّعت مبررات البلاغيين في تناولهم علم المعاني، قبل قسيمه البيان والبدیع، بين أسباب منهجية وغير منهجية، وقد أعرب عنها السكاكي في مقدمته، حين قال: "اعلم أنّ المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة.. ولمّا كان علم البيان شعبة من علم المعاني، لا تنفصل عنه إلا بزيادة

(١) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٨.

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي ١/٣٥٣.

اعتبار، جرى منه مجرى المركب من المفرد، لا جرم آثرنا تأخيره^(١) ويلاحظ أنّ هذه الطريقة البنائية، المنطقية في تحديد الأفكار والمبادئ، هي من مقتضيات التنظيم المعرفي لبناء هيكلية علم المعاني^(٢).

ويمكن من تأمل هذا النصّ أن نلخص تلك المبررات المنطقية التي من أجلها قدّم أرباب المدرسة الفلسفيّة مبحث المعاني على قسيميّه، والمتمثلة في التالي:

● تنزيل المعاني من البيان منزلة المفرد من المركب:

من وجهة نظر البلاغيين أنّ تقديم ما كان كالمفرد على ما كان كالمركب أولى^(٣)، وإّما نسبه إليه من جهة التوقف، ومع ذلك فتوقف المركب على المفرد من جهة كونه جزءًا له، بخلاف توقف البيان على المعاني؛ فالعلاقة بينهما ليست الجزئية، ولكن لأنّ رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي هي ثمرة علم المعاني معتبرة في علم البيان، من حيث إنّها شرط في الاعتداد بثمرته التي هي الإيراد، فليس المراد اعتبارها في البيان على سبيل الجزئية له؛ لأنّه ليس مركبًا من اعتبار المطابقة وإيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، فإنّ الرعاية أمرٌ خارج عن البيان ليست جزءًا منه ولا فائدة له، وإّما هي شرطٌ للاعتداد بفائدته، فالرعاية والإيراد يشبهان أجزاء علم البيان لتوقفه عليهما، فكان علم المعاني بمنزلة الجزء؛ لكون ثمرة البيان المقصودة من المعاني كالجزم من البيان^(٤).

(١) مفتاح العلوم ١٦١ - ١٦٤.

(٢) بنظر: البلاغة بوصفها ميدانًا معرفيًا ص ١٢٣.

(٣) بنظر: دلالة الألفاظ على المعاني ص ١٣٦.

(٤) بنظر: تحقيق محمد عبدالمنعم الخفاجي على الإيضاح ١ / ٥٢.

● الوسيلة تسبق الغاية:

تقوم البلاغة على ركيزتين: الأولى: أن يكون الكلام متلائماً مع أوضاع المخاطبين، ولا يمكن التوسل لهذا الأمر إلا بعلم المعاني، والثانية: أن يكون مؤثراً في النفس، يسمو بالعواطف، يلامس الأحاسيس، حتى تتفاعل معه وتتجاوب، ولا يمكن الوصول لهذه الغاية إلا بعلم البيان، والوسيلة مقدمة على الغاية. فإذا كان علم المعاني يعتمد أول ما يعتمد على الفكر الذي تطابق به بين ما رتبته في نفسك، وما ينبغي أن ترتبه في نطقك، فإن علم البيان هو ذلك العلم الذي يحدث أثراً في نفسك، ويسمو بعاطفتك، ويهدف حسك^(١).

● حصول الاحتراز عن الخطأ بعلم المعاني دون البقية:

صدر علماء البلاغة التصنيف في هذا العلم على أخويه؛ لتعلقه دونهما بجانب الصحة التي قررها النحاة، ومعلوم أنّ الصحة التعبيرية شرط في بلاغة الكلام، والشرط يسبق المشروط.

وهم وإن بنوا كلاً علوم البلاغة على مبدأ الاحتراز^(٢) الذي ورثوه عن النحاة، إلا إنهم فرقوا بين موجب الاحتراز فيها، فرتّبوا الفنّون بناءً على الأولى، فالاحتراز في المعاني عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، بينما في البيان عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه، وفي البديع احتراز أيضاً؛ ولكن عن إيراد الحسن مكان الأحسن من الألفاظ، وتفويت الوجوه التي

(١) ينظر: البلاغة فتوّها وأفاها ص ١٢.

(٢) ينظر: الإيضاح ٤٩/١، وفيه: "وأنّ البلاغة مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وما يجتز به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد فعلم المعاني، وما يجتز به عن التعقيد المعنوي علم البيان. وما يعرف به وجوه التحسين علم البديع"، وحاشية الدسوقي على مختصر المعاني ٥/٣.

تبلغ بالكلام أعلى مراتب الحسن، والحسن مطلب فني، لا يتنازل عنه في الكلام البليغ.

● كون وظيفة علم المعاني تعنى بأساس بناء الكلام:

لا يتأتى إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة تتفاوت في وضوح الدلالة عليه، إلا بعد أن يكون هذا المعنى قد استقر في ذهن المتكلم، وصيغ في تراكيب صحيحة مطابقة لمقتضى الحال، وهذا هو مجال علم المعاني، فعلم المعاني هو الذي يضبط خواص اللفظ والتراكيب النظامية العربية لتطابق مقتضى الحال، مما يضمن صحة الأداء الدلالي وسلامة التعبير الأولي، وهذا هو سرّ تقدّم علم المعاني على قسيميه البيان والبديع.

إنّ الوظيفة الجوهرية للغة هي التواصل وإيصال المعاني بوضوح ودقة، وعلم المعاني هو الضامن الأول لتحقيق هذه الوظيفة الأساسية، فإذا لم يتمكن المتكلم من إيصال المعنى بوضوح ودقة وفق مقتضيات الحال عبر المعاني، فإنّ محاولة إيراد هذا المعنى بطرق بيانية مختلفة ستكون بلا جدوى، بل قد تؤدي إلى اللبس والتعقيد، وعلم البيان يأتي ليعزز هذه القدرة على الإيضاح، بتقديم خيارات متعددة للدلالة الواضحة، لا أن يؤسس المعنى من العدم.

ولهذا تُعدّ علاقة علم البيان بعلم المعاني لديهم علاقة تكاملية لإنتاج الدلالة في الخطاب اللغوي، فحين يتولى علم المعاني مسؤولية بناء التركيب النحوي الدال على المعنى الأصلي وفق مقتضيات الحال، يضطلع علم البيان بمهمة إكساب هذه الدلالة الوضوح التام والتأثير البلاغي المطلوب. هذا الدور المتأخر زمنياً ومنطقياً لعلم البيان يضمن تحقيق "تمام المراد" للمتكلم، عبر صياغة

المعنى بصورٍ بيانيةٍ تزيد من إيضاحه وتعميق فهمه لدى المتلقي، مما يؤكد على تراتبية وظيفية أساسية بين العلمين في تحقيق فعالية التواصل. يقول عبد القاهر: "إنَّ في الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته"^(١).

● التدرج المنهجي في التحصيل العلمي:

يتَّبَع الترتيب في كتب البلاغة منهجًا تعليميًا منطقيًا، يبدأ بالأساسيات التي تضمن صحة الكلام ووضوح دلالاته ومطابقته للمقام، فبعد إتقان فهم خواص اللفظ والتراكيب النظمية التي تطابق مقتضى الحال (علم المعاني)، ينتقل الدارس إلى مستويات أعلى من القدرة على التعبير عن المعنى الواحد بطرقٍ مختلفةٍ في وضوح الدلالة (علم البيان)، وهذا الترتيب ليس مجرد فهرسة؛ بل هو إشارة إلى التدرج المنهجي في دراسة هذه العلوم، حيث يمهّد كل علم للعلم الذي يليه.

إنَّ التسلسل الذي سلكه كبار مصنفي المدرسة الفلسفية يعكس هذا الفهم التراتبي، فهذا الترتيب ليس اعتباطاً؛ بل هو انعكاسٌ لما استقر في ذهن علماء هذا العصر من أسبقية المعاني على البيان، لكونها المنظم الأساسي للكلام والمطابق لمقتضى الحال، والبيان هو أداة إيضاح ذلك المعنى أو إخفائه حسب الاقتضاء.

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٠٠.

● أسبقية شقّي علم المعاني "الخبر" و"الطلب" في المعبر من كلام العرب: أفضى استقراء البلاغيين لكلام العرب إلى أنّ "الخبر" و"الطلب" أصل كلامهم؛ لهذا اتّخذ المؤلفون من هذه الخصيصة الأسلوبية موجّهاً لمنهجهم العلمي، في ترتيب مباحث البلاغة فابتدأوا بالكلام في بلاغتهما، فكان تقديم علم المعاني على قسيمه أمرًا منطقيًا؛ لاضطّاعه بخواص أنواع الخطاب في الكلام العربي الذي به يؤدي الكلام البليغ، "وهذان المصطلحان ليسا من اختراع السكاكي، بل هما مصطلحان قد ظهرا منذ زمنٍ مبكرٍ على يد المتكلمين، وقد تكلم عنهما النظم والجاحظ ومعظم المعتزلة وأصحاب علم الكلام" (١).

● توافر سمة التبع في علم المعاني دون البيان والبديع:

بحسب تعريف رأس المدرسة العلمية للبلاغة العربية لعلم المعاني، لما نعته بأنّه: "تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة" (٢) فإنّ سمة التبع، هي أوّل مفردة كشفت عن منهج دراسة علم المعاني عند البلاغيين، وما دام علم المعاني من بين قسيمه هو السبيل الشرعي لهذا التبع، كان من لوازم المنهج المعتمد على الاستقراء في البحث العلمي، أن يقدّم الحديث في المبحث المضطلع بهذه السمة الراسخة في أصوله، دون بقية المباحث.

مناقشة المبررات:

لنا مع هذا الكلام وقفات، يمكن حصرها فيما يلي:

(١) البلاغة عند السكاكي ص ٣٠٥.

(٢) مفتاح العلوم ص ١٦١.

- بما أنّ البيان ليس متوقفاً على المعاني، ولم تكن العلاقة بينهما الجزئية، لماذا شبهوا علاقة المفرد بالمركب بعلاقة الجزئية بينهما؟
- لَمَّا كان المعاني شرطاً للبيان لماذا لم يصرّحوا بذلك؟
- إذا حصرنا مقتضى المقام الذي هو هاجس البلاغة في علم المعاني، فلم يعد شيء يُلبي تطلعاتها غيره، فما الفائدة من طرق البيان إذا لم يقتضها المقام، ولم تكن لمطابقة مقتضى حال المخاطب؟
- من قال بأنّ وظيفة المطابقة يتحملها علم المعاني وحده؟ وهو الذي عرف بتتبع خواص اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، شأنه في ذلك شأن البيان والبديع في تحمل وظيفة مطابقة الكلام لمقتضى الحال، كلٌّ بحسب طاقاته، يقول الدسوقي: "رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي هي مرجع علم المعاني معتبرة في علم البيان"^(١)، فالمطابقة لمقتضى الحال مطلوبة في مباحث كلا العلمين، والاختلاف في الوضوح والخفاء موجود في مسائلهما، وكما يصدق هذا على المعاني والبيان يصدق على البديع^(٢).

لعلّ اهتمام عبد القاهر الجرجاني بعلم المعاني، خاصّة مع نظريته النظم، هو الذي دفع إلى هذا التقديم، والحق الذي "يجب أن يعرف أنّ البلاغة والفصاحة لا تقومان على توخي معاني النحو وحدها عند عبد القاهر، بل تقومان عنده على ذلك، وعلى غيره من الإيجاز والإطناب، والمجاز والكنائية، وغير ذلك من المعاني البيانية والبديعية، وقد قال في البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة: إنّهُ لا

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني ٥/٣.

(٢) ينظر: البلاغة عند السكاكي ص ١٢٦.

معنى لهذه العبارات، وما يجري مجراها، غير وصف الكلام بحسن الدلالة، وتماهما فيما كانت له دلالة، وذلك بأن يؤتى المعنى من الجهة، التي هي أصح لتأديته اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه، وأتم له^(١).

وما عزّز من هذا ظنّهم أنّه يضيف الاستعارة لعلم المعاني، ودفعهم ذلك لأنّ يضمّوا له كل عنصر مؤثر في الخطاب؛ ممّا أضعف المزية في البيان، فقد حملوا هذا الفهم حديثه عنها، عندما تحدث عن مردّ المزية للنظم الذي هو عنده توخّي معاني النحو وأحكامه، حين قال: "فإن قيل: قولك إلا النظم، يقتضي إخراج ما في القرآن من الاستعارة وضروب المجاز من جملة ما هو به معجز؛ وذلك ما لا مساغ له، قيل: ليس الأمر كما ظننت؛ بل ذلك يقتضي دخول الاستعارة ونظائرها فيما هو به معجز؛ وذلك لأن هذه المعاني التي هي "الاستعارة"، و"الكناية" و"التمثيل"، وسائر ضروب "المجاز" من بعدها، من مقتضيات "النظم"، وعنه يحدث وبه يكون؛ لأنّه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد، لم يتوخّ فيما بينها حكم من أحكام النحو؛ فلا يُتصور أن يكون ههنا "فعل" أو "اسم" قد دخلته الاستعارة، من دون أن يكون قد أُلّف مع غيره"^(٢).

ب - تقديم مباحث المسند إليه على المسند وترتيب ثنائياتها:

الفكرة التي كان سيبويه يربحها ويصدر عنها في تنويع مباحث النحو، وترتيب أبوابه مدارها العامل أولاً وأخيراً؛ حيث نظر في الجملة حين تكلم

(١) البلاغة العالية ص ١٠.

(٢) دلائل الإعجاز ص ٣٩٣.

عن المسند والمسند إليه، فإذا هي فعلية واسمية... ثم تكلم عن الفعل المحذوف، والفعل المذكور، والمتعلقات... ثم صار إلى الجملة الاسمية فتكلم عن الابتداء ونواسخه، ويبدو أنّ النسق الذي أخذ به سيبويه، هو الذي ألهم علماء المعاني فكرة انحصار مباحثه في أبوابه الثمانية المعروفة^(١).

ونجد القزويني - تبعًا للسكاكي - من أوائل من اهتموا بهذا المنهج، فحصر مباحث علم المعاني في ثمانية أبواب هي: أحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند إليه، وأحوال المسند، وأحوال متعلقات الفعل، والقصر والإنشاء، والفصل والوصل، والإيجاز والاطناب والمساواة. ووجه الحصر هو أنّ الكلام إما خبر أو إنشاء، لأنّه إما أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه، أو لا يكون لها خارج، فالأوّل الخبر، والثاني الإنشاء، ثم الخبر لا بد له من إسناد ومسند إليه ومسند، وأحوال هذه الأبواب الثلاثة الأولى. ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو متصلًا به أو في معناه كاسم الفاعل ونحوه، وهذا الباب الرابع. ثم الإسناد والتعلق كل واحد منهما يكون إما بقصر أو بغير قصر، وهذا هو الباب الخامس، والإنشاء وهو الباب السادس، ثم الجملة إذا قرنت بأخرى تكون الثانية إما معطوفة على الأولى، أو غير معطوفة، وهذا هو الباب السابع. ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة أو غير زائد فيه، وهذا هو الباب الثامن^(٢).

(١) ينظر: سيبويه إمام النحاة ص ١٧٨ - ١٨٠. والجهود البلاغية عند سيبويه ص ١٥٧.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم ١٦٨، والإيضاح ٥٧/١.

وبيّن السبكي سبب تقديم السكاكي الحديث عن المسند إليه على المسند، وذلك أن المسند إليه كالموصوف والمسند كالصفة، والموصوف أجدر بالتقديم؛ لأنّه الموضوع، والصفة هي المحمول، كما قدّم الحذف على الذكر؛ لأنّ الذكر هو الأصل، والحذف لا يكون إلا بوجود دليل عليه^(١).

ج - تقديم مباحث الخبر على مباحث الإنشاء:

يعلّل التفتازاني هذا النهج تعليلاً قيمياً، وآخر منطقيّاً، وذلك بقوله: "وإنّما ابتدأ بمباحث الخبر:

١- لكونه أعظم شأنًا وأعم فائدة، ولأنّه هو الذي يتصوّر بالصور الكثيرة، وفيه تقع الصياغات العجيبة، وبه تقع غالبًا المزايا التي بها التفاضل.

٢- لكونه أصلًا في الكلام؛ لأنّ الإنشاء إنّما يحصل منه باشتقاق؛ كالأمر والنهي، أو نقل؛ كبئس ونعم وبعث واشترت، أو زيادة أداة كالاتفهام والتمني وما أشبه ذلك"^(٢).

ويبدو أنّ القزويني تجنّب كثيرًا من الاضطراب الذي وقع فيه السكاكي، حينما أرجأ بحث الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة وقدّم عليها الإنشاء؛ لأنّ هذه الفصول تدخل الإنشاء كما تدخل الخبر.

وكذلك تقديم أبواب الخبر منها على أبواب الطلب في التأليف المدرسي إنّما كان؛ لأنّ الخبر يخضع لقانون الثبات، بينما الطلب للتغير والخروج عن الأصل.

(١) ينظر: عروس الأفرح ١/٢٧٤، ٢٧٥.

(٢) المطول ١/٤٢.

وهذا أمرٌ منطقيٌّ في التدرج في مثل هذا النوع من التصنيف، أن يبدأ المؤلف بما هو أصل؛ لأنه أقرب في التصور الذهني، وليس لأن الخبر أبلغ، فالإنشاء ولا شك أبلغ، أعني الطلبيّ منه خاصة، "فالإنشاء غير الطلبي لا تبحث عنه علماء البلاغة؛ لأن أكثر صيغته في الأصل أخبار نقلت إلى الإنشاء، وإمّا المبحوث عنه في علم المعاني هو الإنشاء الطلبي؛ لما يمتاز به من لطائف بلاغية"^(١).

د - تأخير مباحث الفصل والوصل وأسلوب الإيجاز:

أعطى البلاغيون أسلوب الفصل و الوصل مكانة عظيمة، لا أدلّ على ذلك من ترديدهم لعبارة الفارسي: "البلاغة معرفة الفصل من الوصل"^(٢) فقد جعلوه حدًّا للبلاغة، وهم غير ملومين في هذا؛ فالمعاني تنشأ من خلال علاقات الفصل والوصل الصحيحة نحوياً ودلالياً^(٣)، كما أنهم أعطوا الإيجاز المكانة نفسها، معتمدين على النظرة الذائعة الصيت التي حصرت البلاغة فيه، وجعلته أهم خصائص اللغة العربية في القديم، فقد كان العرب لا يميلون إلى الإطالة والشرح والإسهاب، وكانوا يعدون الإيجاز هو البلاغة، فأكثم بن صيفي يرى أنّ البلاغة هي الإيجاز، وكان جعفر بن يحيى يقول لكتّابه: "إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا"^(٤).

(١) جواهر البلاغة ١/٧٠.

(٢) البيان والتبيين ١/٩١.

(٣) ينظر: الفصل والوصل في القرآن من البنية والوظيفة إلى القوة الإنجازية ص ٣٢٢.

(٤) ينظر: البيان والتبيين ١/٨٦، وكتاب الصناعتين ص ١٧٣.

ولكن هل كانت هذه الرتبة محط اهتمام المنظرين من أرباب المدرسة
الفلسفية؟

الحق أنّ السكّاكي لم يرضخ للمنهج المنطقي الذي تقلّده في تنظيره، فلتلك
المكانة قدّم الحديث على الفصل والوصل والإيجاز بعد الخبر، وقبل الحديث
عن الإنشاء، مع أنّ الفصل والوصل يدخل في الإنشاء، وهو الأمر الذي
استدركه الخطيب عليه، فأرجأ الحديث عنه بعد الإنشاء، فلم تشفع تلك المكانة
له عنده، ما يؤكد أن ترتيب المباحث عندهم لا يعني بالضرورة تقدّم مرتبة ما
تم تقديمه منها.

ثم إنّ الاحتكام إلى المنطق جرّهم إلى بناء معايير الترتيب، ففراهم تارةً
يقدمون الذي هو أصل الكلام، ويؤخرون الخارج عن الأصل، وتارةً يقدمون
الخارج عن الأصل، ويرون أنّ البلاغة إنّما تكون فيه، وتارةً يقدمون ما مرتبته
تستدعي التقديم، في صراع محموم بين التععيد والتدوّق، والعلم والفنّ، وتزاحم
دوافعهما في أذهان القوم.

ثانياً: - علم البيان:

هناك مَنْ قدّم مباحث علم البيان في التنظير على مباحث علم المعاني،
ولكلّ وجهة وحجة في تقديمه، على النحو التالي:

١- فخر الدين الرازي (٦٠٦هـ) في كتابه "نهاية الإيجاز" (١) قدّمه من
منطلق "أنّ أصل الإعجاز في فصاحته، وأنّ البلاغة - بعلومها - ما هي إلا
تمهيد وقاعدة لبيان هذه الفصاحة، انطلق بعدها في حديثه عن علمي البيان

(١) نهاية الإيجاز ٨٧ - ١٦٢.

والمعاني للدلالة عليها، من خلال الدلالة اللفظية للمفردة، ثم للدلالة المعنوية" (١) ومادام محتفياً بالفصاحة لدرجة جعلها مدار الإعجاز، ولأن وظيفة علم البيان مكافحة التعقيد المعنوي الذي هو عيب فصاحة الكلام، وكانت الفصاحة شرطاً للبلاغة، وتحقق الشرط يجب أن يسبق المشروط، ابتداءً بالبيان بحكم كونه المسؤول الأول في الكشف عن وضوح الدلالة الذي هو قضية القضايا في فصاحة المفردة، قبل النظم القرآني المنوط بعلم المعاني.

٢- يحيى بن حمزة العلوي (٧٤٩هـ) في كتابه "الطراز" ، يقول موضعاً منهجه: "فلنذكر ما يتعلق بذكر علوم البيان من مواقع المجاز في البلاغة، ثم نردفه بما يتعلق بالمعاني الإفرادية، وهو المعبر عنه بعلم المعاني، ثم نذكر على إثره ما هو منه، وهو ما يتعلق بمراعاة أحوال التأليف وهو المعبر عنه بعلوم المعاني أيضاً، ثم نذكر خاتمة الفنّ فيما يتعلق بمجموع الأفراد والتركيب وهو المعبر عنه بعلم البديع فهذه أبواب أربعة" (٢)، ويتضح من كلامه أنّه خالف السكاكي، فعكس في الترتيب الذي بناه على ثنائية الأفراد والتركيب، وتوقف المركب على المفرد باعتبار فائدة البيان مركبة من رعاية المطابقة لمقتضى الحال والإيراد في تراكيب مختلفة، والمعاني مختص بالرعاية فقط، فبدأ بمركب الفائدة قبل مفردها، ثم ختم بما يتعلق بمجموع الأفراد والتركيب على حدّ قوله.

٣- يرى بعض الباحثين أنّ تقديم علم البيان لكونه المحور الرئيس لعلم البلاغة، باعتبار أنّ علم المعاني طبع بطابع الجفاف، بحكم استناده على قوانين

(١) التجديد البلاغي في كتاب تحاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي ص ٩٦٥.

(٢) الطراز ١/١٩٦.

النحو وقواعده، بعكس البيان الذي يعتمد الذوق مقياسًا في تحديد أغراض وجوه دلالاته على المعاني^(١).

ولعل مَنْ قَدَّم البيان على المعاني من أرباب هذه المدرسة، اعتمد على كلام مراتبي لا ترتبي لعبدالقاهر أعلى فيه من وظيفة البيان؛ حيث قال عند بيانه لشأن الكناية والاستعارة والتمثيل: "وإذ قد عرفت هذه الجملة، فههنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول: "المعنى"، و "معنى المعنى"، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة و "بمعنى المعنى"، أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، كالذي فسرتُ لك"^(٢).

ومن مرحلة المعنى يتكون "علم المعاني" ومن مرحلة "معنى المعنى" يجيء "علم البيان"؛ ولهذا نستطيع أن نقول: "إنَّ عبد القاهر بعد أن انتهى من كتابه دلائل الإعجاز الذي تحدّث فيه حول المعنى، حاول أن يخصص كتابًا لدراسة معنى المعنى فكان من ذلك كتابه أسرار البلاغة"^(٣).

هذا، وقد اضطرب علماء البلاغة في تعريفهم وترتيبهم وتبويبهم وتناولهم لمباحث البيان، اضطرابًا كان له أثر كبير في النظر لمراتبها، ويمكننا أن نجمل أسباب ذلك فيما يلي:

(١) علم المعاني بين النحو والبلاغة مقال منشور في مجلّة المورد ص ٣٤.

(٢) دلائل الإعجاز ص ٢٦٣.

(٣) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٤٢٩.

أ- التوسّع في تعريف البيان:

إذا كان البلاغيون يعرفون البيان بأنه: "إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"^(١)، فهل هذا يمنع دخول أنواع من الفنون البلاغية الأخرى؟ فالجواز العقلي الذي يعتني بالوضوح في الدلالة دَرَسَهُ السكاكي تحت البيان، ودَرَسَهُ الخطيب تحت المعاني، والطباق البديعي، الذي يرد المعنى فيه بطريق الضدية، هو من أعلى طرق الدلالة وضوحًا؛ إذ بضدها تتبين الأشياء، وكذا الأمر مع "التورية"؛ تلك التي تعتمد على الكشف عن معنى قريب ظاهر ومعنى بعيد خفي، فتتصل بفكرة التخيل وإظهار المعنى لا بالمحسن اللفظي فحسب، وكذلك الحال مع نوعي "الإيهام والتوجيه" الذين بدورهما يقومان على تعدد الدلالة بين ظاهر وباطن؛ لهذا رأى بعض الشراح أنّ هذه الفنون يمكن - من حيث المنهج - أن تدخل تحت البيان؛ لأنّها تشتغل على طبقات المعنى لا على التزيين الصوتي.

يقول السبكي بعد عرضه لجملة من المسائل التي أوردتها في مباحث المعاني: "لعلك تقول: غالب ما سبق أو كله من أنواع المجاز ومحله علم البيان - كما سيأتي - فالجواب: أنّ الأمر كذلك؛ ولكن جرت عادة أكثرهم بذكر هذه الأنواع في هذا العلم فتبعناهم، وتداخل علم البيان وعلم المعاني كثير"^(٢).
ومن هنا يمكن القول إنّ هذه الفضفاضية في التعريف هي التي أذنت لإمكانية تذبذب معالجة أنواع بين فنّ المعاني وفنّ البيان، أو البديع الذي عدّه

(١) مفتاح العلوم ص ١٦٢.

(٢) عروس الأفراح ١/٢٩٢.

أرباب هذه المدرسة تابعًا للبلاغة لا مكوّنًا رئيسًا من مكوناتها، كما يمكن أن يكون قد تسبّب في الإنقاص من قيمة البيان لدى مَنْ قدّم المعاني عليه لعلّة مراتبيّة.

ب- تصدير علم البيان بمقدمة منطقية توهم سطوتها على مراتب

مباحثه:

صدّر السكّاكيُّ رأس المدرسة الفلسفيّة نظيره لعلم البيان، بحديثٍ عن أنواع دلالات الكلام، ولقد أنكر شراح كتابه من بعده ذلك عليه، مع أنّهم التزموها وأقحموها في كتاباتهم، وبنوا عليها مفاهيمهم^(١)، والذي دعاهم لذلك استدعاء حدّ البيان لها، وهذا ليس مشكلًا، وإّما الإشكالية كامنة في أنّ مَنْ ينظر لمراتب مباحث البيان، يبينها على هذا التصدير الذي جعل دلالة التشبيه وضعية، واعتبر دلالة المجاز والكناية عقلية، وأنّ هذه الأخيرة هي التي يتحقق بها حدّ البيان المعروف؛ إذ بها يمكن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، بينما الدلالة الوضعيّة لا يمكن بها إيراد المعنى الواحد؛ لأنّ السامع إذا كان عالمًا بوضع الألفاظ، لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض، وإلا لم يكن كلّ منها دالًّا عليه^(٢).

وعليه فإنّ الدلالات الوضعيّة - في نظر السكّاكي ومَنْ تابعه - هي دلالات غير متفاوتة؛ لأنّها نمط واحد، ذو درجة ثابتة من الدلالة على المعنى، بها يتحقق الفهم وبدونها ينعدم، وقد رتبوا على ذلك أنّ الصورة البيانية التي

(١) ينظر: شرح مفتاح العلوم للقطب الشيرازي ص ٢٩١.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم ص ١٥٧.

يبحثها علم البيان لا تؤدي وظائفها الفنيّة من خلال تلك الدلالة، "فاستخدام الكلم في الصورة المجازية مثلاً، هو استخدام خاص تنحرف فيه الكلمة عن أصل وضعها، لترود آفاقاً دلالية جديدة، يكون لها أثرها في المعنى، أو الغرض المدلول عليه بها، وبناءً على ذلك؛ فإنّ الأثر الفنّي لتلك الصورة لم يكن يتضح - في نظر هؤلاء - إلا عن طريق مقارنتها بصورة أخرى ذات دلالة وضعية على نفس معناها، وذلك كي يتّضح الفارق الدلالي بين الصورتين عن طريق تلك المقارنة" (١).

ج- تمّيش الحقيقة في دروس البيان:

تأدية المعنى بتركيب حقيقيّ الدلالة، هو أحد الأساليب البليغة التي تؤدّي بها المعاني وتصوّر بها المقاصد، ويعبّر بها المتكلم عن أحاسيسه ومشاعره، ولها دور كبير في تشكيل الصورة الفنيّة.

ومع أهميّة هذا في التعبير عن الغرض، وتشكيل الصور الفنيّة، إلا أنّنا نجد المنظرين من أرباب هذه المدرسة قد صبّوا جهدهم على المجاز دون الحقيقة، فأطالوا الوقوف أمامه فعرفوه، وذكروا أقسامه المتعددة، وتحدّثوا عن بلاغة أساليبه، وإبراز قيمتها الفنيّة، وتناولوا كلّ ذلك بإفاضة بالغة، ولم يتناولوا الحقيقة إلا من ناحية تعريفها وأنواعها، والمقارنة بين بلاغتها وبلاغة المجاز.

ولو كانت المرتبة عند البلاغيين من أتباع هذه المدرسة مبنيةً على ترتيب المباحث لما قدّموا في نظيرهم الحديث عن الحقيقة على المجاز، فهم يرون أنّ حديثهم عن الحقيقة ليس مقصوداً لذاته؛ بل اضطرّوا إليه توطئةً للحديث عن

(١) المعنى في البلاغة العربية ص ٨٦.

قسيمه المجاز، يقول السعد: "والمقصود الأصلي إنّما هو بحث المجاز، لكن قد جرت العادة بالبحث عن الحقيقة أيضاً؛ لِمَا كان بينهما من شبه تقابل العدم والملكية؛ حيث اشتمل أسلوب الحقيقة على استعمال اللفظ فيما وضع له، والمجاز على استعماله في غير ما وضع له... فالتعرض للأصل مناسب" (١).

إنّ عدم إعطاء الحقيقة حقّها من الدرس، أدّى إلى التشكيك في بلاغتها، فضلاً عن مرتبتها الفنيّة، لدرجة لم يزد بعضهم في دراستها عن قوله: "اتفق البلغاء على أنّ المجاز والكناية أبلغ من الحقيقة والتصريح" (٢).

وكذلك صنع السبكي؛ فقد نظر لمبحث الحقيقة على أنّه وسيلة لغاية عظمى هي المجاز، فعنده أنّه لِمَا كان المقصود إثبات المجاز، ذكرت استطراداً، واقتصر على تعريف الغالب منها (٣).

إذن، فذكر البلاغيين لأسلوب الحقيقة - كما صرح التفتازاني (٤) - جاء عرضاً وتبعاً واستطراداً لدراستهم لأسلوب المجاز، ولم يكن مقصوداً لذاته، بل لأنّها في مقابله، ولولا الحديث عن المجاز، ما جاء ذكرٌ للحقيقة ألبتة. وأعظم من ذلك أنّ بعض البلاغيين، قصّر علم البيان على المجاز والكناية، وأخرج ما عداهما من التشبيه والحقيقة وفق ما سيرد لاحقاً.

ولعلّ تسليط الأضواء على خصيصة الانحراف الدلالي، الذي تتمايز به الصورة المجازية عن الحقيقية، مما أشرت إليه آنفاً، هو الذي تسبب في هضم

(١) المطول ص ٣٤٨.

(٢) ينظر: الجهود البلاغية عند سيبويه ص ١٥٧.

(٣) ينظر: عروس الأفراح ١٢٠/٢.

(٤) ينظر: المطول ص ٣٤٨.

التركيب الحقيقي مكائته، وصرف أنظار البلاغيين عن التأمل في أسرار التعبير به.

ويعلّل السكّاكي تقدّم مرتبة المجاز على الحقيقة بقوله: "والسبب في أنّ المجاز أبلغ من الحقيقة، هو ما عرفت من أنّ مبنى المجاز على الانتقال من الملزوم الى اللازم... فإنّ وجود الملزوم شاهد لوجود اللازم؛ لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم، لأداء انفكاكه عنه الى كون الشيء غير ملزوم باعتبار واحد، وكم بين ادّعاء الشيء بيّنة، وبين ادّعاءه لا بها" (١).

وليس في كلام السكّاكي ما يوضح قيمة المجاز، وكون مرتبته الفنيّة أعلى من الحقيقة، وأيّ علاقة للانتقال من الملزوم إلى اللازم، وغير ذلك في الدراسات الفنيّة؟ وقد يكون كلام السكّاكي صحيحًا من الوجهة العقلية والمنطقية؛ ولكنه من الوجهة الأدبية بعيد كل البعد عن روح الأدب ومقاييسه النقدية والبلاغية (٢).

ولسنا في معرض الدفاع عن الحقيقة، فهذا ليس من غاية هذا البحث، وقد دافع عن مكائتها بعض المحدثين في دراسة تطبيقية لإبراز القيم الجمالية لها مقارنة بالمجاز، مُنذِّدًا بالإجحاف والضميم، الذي لحق بأسلوب الحقيقة المباشر عند البلاغيين في تناول والمعالجة (٣)، ولكن أردنا أن نبرزها كسببٍ من الأسباب التي أدّت إلى الاضطراب في الحكم على مراتب مباحث البيان.

(١) مفتاح العلوم ص ٤١٣.

(٢) ينظر: البلاغة عند السكّاكي ص ١٨١.

(٣) ينظر: أسلوب الحقيقة بين النظرية والتطبيق ص ٢٤.

د- تشريد التشبيه:

للبلّاعين مواقف متباينة من التشبيه، تسببت في ضباية النظر إلى مرتبته، وتمثل فيما يلي:

١- اضطرابهم في انتمائه بين الحقيقة والمجاز:

يورد السكاكي كلامًا يفهم منه أنه يرى دخول التشبيه تحت الحقيقة^(١)؛ بناءً على وضعية دلّته، التي لا يتحقق بها تفاوت الدلالة على المعنى المراد توضيحه؛ لأنّ إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة غير ممكن بالدلالات الوضعية والتشبيه يقوم بها، وإتّما يتأتى إيراد المعنى بطرق مختلفة بالدلالات العقلية التي ينهض بها المجاز والكناية، ولعله اعتمد في ذلك على قول عبد القاهر: "إنّ كل متعاطٍ لتشبيهٍ صريحٍ، لا يكون نقل اللفظ من شأنه ولا من مقتضى غرضه... لأنّ التشبيه معنى من المعاني، وله حروف وأسماء تدلّ عليه، فإذا صرّح بذلك ما هو موضوع للدلالة عليه، كان الكلام حقيقة، كالحكم في سائر المعاني، فاعرفه"^(٢). مع أنّ التشبيه يتفاوت أيضًا كتفاوت المجاز والكناية، فمنه ما يكون حسنًا، ومنه ما يكون أحسن، ومنه ما يكون قريئًا، ومنه ما يكون غريبًا "والغريب أنّ السكاكي ذكر تفاوت التشبيه، وذكر مراتبه وأنواعه، ولم يفتن إلى أنّ التشبيه - كموضوعات البيان الأخرى - يمكن به إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان"^(٣). كما رجّح هذا

(١) ينظر: مفتاح العلوم ص ٣٢٩.

(٢) أسرار البلاغة ص ٢٤٠. ويمثل قول إمام البلاغيين فال الزنجاني في معيار النظّار ص ٥٧. وابن النقيب

في مقدمة تفسيره ص ٨٢.

(٣) البلاغة عند السكاكي ص ١٧٧.

الرأي السيوطي أيضًا بقوله: "زعم قومٌ أنّ التشبيه مجازٌ، والصحيحُ أنّه حقيقة"^(١). وفرّق ابنُ معصوم في ذلك فقال: "إنّ كان مجرف فهو حقيقة، أو مجذفه فمجازٌ؛ بناءً على أنّ الحذف من باب المجاز"^(٢).

وبقيت هذه النظرة المضطربة مؤثرةً عصورًا نظريّةً تترى، يدرك ذلك مَنْ يطالع عبارات المحدثين وهم يدرسون التشبيه، كيف يرون أنّه طريق المجاز ليس إلا، فيتكرر في عباراتهم مثل قول أحدهم: "لما فرغ المصنّف من التشبيه الذي هو أصلٌ لمجاز الاستعارة التي هي نوع من مطلق المجاز"^(٣).

ولا شكّ أنّ هذه النظرة المتذبذبة، قد أسهمت في تأرجح الحكم على مرتبة التشبيه، وقيمتها الفنيّة، تبعًا لمن أعطى الحقيقة مكانتها الاعتبارية في البلاغة، ولمن لم يزد على أن يجعلها جادة يسلك من خلالها إلى المجاز.

٢- تذبذبهم بين عدّه أصلًا برأسه يزاحم المجاز والكناية أو مجرد مقدمة للمجاز اقتضى ذكره ذكرها:

ردّ السكّاكبي - ومنّ هذا حذوه - البيان إلى أصلين: مجاز وكناية، وهو تقسيم لم يستقم لهم، ما داموا يعترفون بأنّ التشبيه مقصد أساسي في البيان، فإذا نظروا إليه من زاوية أنّ الاستعارة من فروعها، عدّوه أصلًا ووضعوه مع المجاز والكناية جنبًا إلى جنب^(٤)، أما إذا نظروا إليه من زاوية كونه لا يتحصل به تفاوت وجوه البيان لوضعية دلّالته، جاؤوا بذكره كوسيلةٍ أو كمقدمةٍ للمجاز

(١) الإتيقان ١١١/٢.

(٢) أنوار الربيع ٤٦١/١.

(٣) دروس في البلاغة ٧٢/٤.

(٤) ينظر: مفتاح العلوم ص ٣٣١.

الذي يتحصل بعقلية دلالاته حد علم البيان، فكان تقديم التشبيه عليه؛ لاعتبار أنّ الاستعمال في غير ما وضع له (دلالة المجاز) فرعٌ عن الاستعمال فيما وضع له (دلالة التشبيه) ^(١) وليس لاعتبار مرتبته. يقول السكاكي: "ثم إنّ من المجاز أعني الاستعارة من حيث إنّها من فروع التشبيه كما ستقف عليه لا تتحقق بمجرد حصول الانتقال من الملزوم على اللازم؛ بل لا بد فيها من تقدمه تشبيه شيء بذلك الملزوم في لازم له تستدعي تقديم التعرض للتشبيه فلا بد من أن نأخذه أصلاً ثالثاً ونقدمه، فهو الذي إذا مهرت فيه ملكت زمام التدرّب في فنون السحر البياني" ^(٢).

ولم يكن السكاكي أول من اضطرب في ذلك، فالمطرزي (٦١٠هـ) معاصره قال بأهميته؛ ولكنّه زاد على ما تدّرع به السكاكي، بكون التشبيه ركناً من أركان البلاغة؛ لإخراجه الخفي الى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب ^(٣)، وقد حمل طاشكبرى زاده حملة شديدة على السكاكي؛ لعدّه التشبيه أصلاً ثالثاً من أصول البيان ^(٤).

هـ- تقديم المجاز على الكناية:

يُؤخّر السكاكي الكناية عن المجاز؛ لأنّها نازلة منه منزلة المركب من المفرد ^(٥).

(١) مختصر المعاني ١/٢١٥.

(٢) مفتاح العلوم ص ٣٣١.

(٣) ينظر: الإيضاح في شرح مقامات الحريري ص ٥.

(٤) ينظر: شرح الفوائد الغياثية ص ١٩٥.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم ص ٣٣١.

ويشرح السبكي تعليل السكّاكي لهذا التأخير بقوله: "قدّم المجاز على الكناية؛ لأنّ معناه كجزء معنى الكناية. قال الخطيبي: لأنّ في المجاز إرادة اللازم فقط، أي: مثل الشجاعة ولفظ الأسد، وفي الكناية تجوّز مع إرادة اللازم، أي: الكرم من كثرة الرماد إرادة غيره، أي: مدلول اللفظ، فيكون معنى المجاز كجزء معنى الكناية"^(١).

ويبدو أنّ هذا التعليل الفلسفي لم يقنع الشراح بعده، لهذا نجد واحدًا كالدسوقي، يتساءل عن سرّ هذا التقديم، يقول - وهو يشرح عبارة السعد (وقدّم المجاز على الكناية) - : " هما مستويان في المقصوديّة من الفنّ، فلاي شيء قدّم المجاز عليها في الوضع، وهلاّ عكس الأمر؟"^(٢).

وتقديم البلاغيين المجاز على الكناية - كما يظهر - لا دخل له بالمرتبة، وإلا لما كان السكّاكي يقدّم الحديث عن الحقيقة على الكناية، وهو يقدم مرتبة هذه الأخيرة، ويعلّل لذلك؛ حيث يقول: "والسبب في أنّ الكناية عن الشيء أوقع من الإفصاح؛ لأنّ مبنى الكناية على الانتقال من اللازم إلى ملزوم معين، ومعلومّ عندك أنّ الانتقال من اللازم إلى ملزوم مُعيّن، يعتمد مساواته إيّاه؛ لكنهما عند التساوي يكونان متلازمين، فيصير الانتقال من اللازم إلى الملزوم - إذ ذاك - بمنزلة الانتقال من الملزوم إلى اللازم، فيصير حال الكناية كحال المجاز، في كون الشيء معها مدعى بيينة، ومع الإفصاح بالذكر مدعى لا بيينة"^(٣).

(١) عروس الأفرح ١٨/٢.

(٢) حاشية على مختصر المعاني ٤٥/٣.

(٣) مفتاح العلوم ص ٤١٣.

وفي هذا - كما أشرنا - تأكيدٌ على أنّهم لم يتحدثوا عن الحقيقة والتشبيه إلا فقط من باب التهيئة لهذين النوعين، اللذين يعدّاهما طرفي البيان لا غير .
 وبالتأمل فإنّ الكناية أبلغ من التصريح مرتبة، وما أحسن تعليل ابن رشيق القيرواني لحسن الكناية والتعريض، وما أقربه الى واقعهما اللغوي والفني، واستعمالهما في كلام العرب؛ إذ ردّه لاتساع الظن فيها وشدّة تعلق النفس بها، والبحث عن معرفته وطلب حقيقته، فإذا كان تصريحًا بحقيقته أحاطت به النفس علمًا وقبلته يقينًا في أول وهلة، فكان كل يوم في نقصان؛ لنسيان أو ملل يعرض^(١).

و- اضطراب بحث البلاغيين للمجاز العقلي بين البيان والمعاني:

بحث السكّاكبيّ المجاز العقلي في علم البيان، وخالفه الخطيبُ القزوينيُّ ببحثه له في علم المعاني، وقد استنكر سعد الدين التفتازانيّ صنيع الخطيب قائلًا: "فإن قيل: فلم لم يذكر بحث الحقيقة والمجاز العقليين في علم البيان، كما فعله صاحب المفتاح ومن تبعه؟ قلنا: قد زعم أنّه داخلٌ في تعريف علم المعاني دون البيان، فكأنّه مبنيٌّ على أنّه من الأحوال المذكورة في التعريف، كالتأكيد والتجريد عن المؤكّدات، وفيه نظر؛ لأنّ علم المعاني إنما يُبحث عن الأحوال المذكورة، من حيث إنّها يطابق بها اللفظ مقتضى الحال، وظاهر الأمر أنّ البحث في الحقيقة والمجاز العقليين ليس من هذه الحثية، فلا يكون داخلًا في علم المعاني، وإلا فالحقيقة والمجاز اللغويان أيضًا من أحوال المسند إليه أو المسند"^(٢).

(١) ينظر: العمدة ١٧٢ - ١٧٣.

(٢) المطول ١/٥٤.

والذي أراه أنّ الخطيب إنّما قدّم الحديث عن المجاز العقلي في علم المعاني؛
لأمر يتعلق بالمرتبة من وجهة نظره، فهم يعدون المجاز العقلي كنزاً من كنوز
البلاغة، وذخراً يعمد إليه الكاتب البليغ والشاعر المفلق والخطيب المصقع،
وليس أدلّ على ذلك من أنّ القدماء استعملوه في كلامهم، وأنّ القرآن الكريم
حفل بألوان شتى منه، وأنّ البلاغيين والنقاد أشاروا إليه وذكروا أمثلته، وهذا
كله يدل على أنّ المجاز العقلي لونٌ من ألوان التعبير، وأسلوب من أساليب
التفنن في القول، جدير بالتقديم في الذكر.

ومما يعزز هذا الذي ذهب إليه تبرير ابن عريشاه صنيع الخطيب بقوله:
"وقد عدل المصنف عن ترتيب المفتاح؛ حيث قدم المجاز العقلي؛ لأنّه المقصود
بالبيان في فنّ البلاغة، المشار إليه بالبنان؛ لأنّ تقديم المجاز العقلي يوجب فضلاً
كثيراً بين الحقيقة والمجاز؛ لكثرة ما يتعلق به، وما قصد بذكرها من مزيد إيضاح
المجاز بمعرفتها، إنّما ينتظم كل انتظام بمقارنتها، على أنّ بعض مباحث المجاز، مما
لا بد فيه من معرفة الحقيقة كما ستشاهد" (١) فكلامه هذا صريح في ردّ علّة
الترتيب لمرتبة النوع.

ثالثاً: علم البديع:

لم يحظ علم البديع - من حيث النظرة - إبان عصر تنظير علوم البلاغة
بما حظي به المعاني والبيان، فهناك مجموعة أمور ظلمت علم البديع، وتسببت
في تأخير ترتيبه في البحث البلاغي وتهميش مرتبته، يمكن حصرها فيما يلي:

(١) الأطول ٢٦٢/١.

أ - عدم استعمال رأس المدرسة الفلسفية لمصطلح البديع:

لم يستعمل السكّاكيُّ البديع بهذا المصطلح، على أنّ المصطلح قد ولد قبله بقرون^(١)، وإثما سمّاه وجوهًا مخصوصة، كثيرًا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، وفي هذا تمييع لهويّة هذا العلم، الذي زحرت بشواهدة نصوص البلاغة العلية المتمثلة في الوحيين، وبلغ الكلام العربي من شعره ونثره، وهذا أمر مستغرب، بالنسبة لكتاب مثل المفتاح، قام على أساس منهج منطقي في تنظير العلوم، ذلك المنهج الذي كان أوْدُ روحه تنصيب المصطلحات وتعريفها والعناية بكل أقسامها وشواهدها.

ب - عدم ربط البديع بمعايير تعريف البلاغة:

لم يربط المنظّرون في علوم البلاغة البديع بتعريف البلاغة، لا من قريب ولا من بعيد، فالبلاغة عند السكّاكي: "هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقّها، وإيراد التشبيه والمجاز والكناية على وجهها"^(٢) فهو في هذا التعريف حصّر البلاغة في المعاني والبيان وأخرج البديع؛ لأنّها من وجهة نظره: وجوه يُؤتى بها لقصد تحسين الكلام، وليست من مرجعي البلاغة.

ويأتي بعده الخطيب، فيربط البلاغة بمقتضى الحال الذي يراعيه علما المعاني والبيان، ويرى أنّ الاحتراز يحصل بالمعاني والبيان دون البديع، فما يجتزئ به عن

(١) أول من أطلق مصطلح البديع على مسائل هذا العلم ابن المعتز وإن كانت هذه التسمية معروفة لدى المحدثين العرب كأبي نواس. ينظر: حقيقة علم البديع في ضوء دراسة تاريخية ص ٩.

(٢) مفتاح العلوم ص ١٩٦.

الخطأ هو علم المعاني، وما يحتز به عن التعقيد المعنوي علم البيان، وأما البديع فهو - عنده - لا يقع به الاحتراز عن شيء أصلاً، بل مجرد تحسين اللفظ وتزيينه بعد رعاية مقتضى الحال^(١)، مع أنّ في البديع احترازاً أيضاً؛ ولكن عن إيراد الحسن مكان الأحسن من الألفاظ، وتفويت الوجوه التي تبلغ بالكلام أعلى مراتب الحسن.

إنّ "تعريف بلاغة الكلام الذي ذكره الخطيب بقوله: هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، شامل لهذه الأصباغ مع التوسع في مفهوم الحال، يجعله أعم مما ذكره حتى ينطبق على أحوال البديع، فإذا اقتضى الحال طباقاً أو تقسيماً أو مزاجاً أو غير ذلك، كان الكلام المشتمل عليها مطابقاً لمقتضى الحال، وخلوه منها غير مطابق فيكون في الأول بليغاً وفي الثاني على خلافه، وذلك أمر تقرّه الفطرة"^(٢)، ويساعد عليه ما جاء من شواهد في القرآن اقتضت ضرورياً من الأنواع البديعية لا يطابق الكلام مقتضى الحال إلا بها، شأنها في ذلك شأن أنواع المعاني.

كما أنّ الاضطراب في حدّ البديع أفضى إلى أن يخرج برمته من أقسام البلاغة؛ بناءً على مفهومه الذي يركّز على الصياغة اللفظية من الزينة والتحسين، التي لا يكون الحسن فيها من وجهة نظرهم ذاتياً، كما حصل مع الخطيب ومنّ هذا حدوه في نظريته لعلم البديع، ولم يشفع لهذا القسم أن سُميت البلاغة به في بواكير التأليف، وألّفت المؤلفات تحت اسمه، وأدخل فيها أبواب

(١) ينظر: الإيضاح ١/١٧.

(٢) الصبغ البديعي ص ٥٠٧.

من علم البيان؛ كالاستعارة، والمعاني؛ كأسلوب الحكيم، وما أذن لإخراجه من البلاغة إلا قصور التعريف عن أثر هذا النوع البلاغي في المعنى^(١).
مع أنّ بعض الشراح خالف هذه النظرة، ورأى أنّ البديع ليس تابعاً بل قائماً بذاته، يقول السبكيّ بعد عرضه لكلامهم: "والحق الذي لا ينزع فيه منصف أن البديع لا يشترط فيه التطبيق، ولا وضوح الدلالة.... ولا تجدهم في شيء من أمثلة البديع يتعرضون لاشتماله على التطبيق والإيراد، بل تجد كثيراً منها خالياً عن التشبيه والاستعارة والكناية التي هي طرق علم البيان، هذا هو الإنصاف، وإن كان مخالفاً لكلام الأكثرين"^(٢).

ج - تأرجح رأي المنظرين لمزية البديع بين الذاتية والعرضية:

جعل الخطيب القزويني المحسنات البديعية - تبعاً للسكاكي - نوعين: **محسنات لفظية**: وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى اللفظ أولاً وبالذات، ويتبعه تحسين المعنى ثانياً وبالعرض، وعلامته أنّك لو غيرت أحد اللفظين بما يرادفه لزال ذلك المحسن، و**محسنات معنوية**: وهي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات، ويتبعه تحسين اللفظ ثانياً وبالعرض، ويتميز هذا النوع من الأول، أنّك لو غيرت اللفظ بما يرادفه لبقى المحسن كما كان قبل التغيير، "وهذا التقسيم تقسيم غير موفق؛ لأنّ فيه فصلاً للروح عن الجسد؛ إذ الألفاظ أجساد للمعاني، ولا يظهر للألفاظ مزية إلا من خلال النظم والتركيب، ونظرة المتأخرين - الخطيب وأتباعه - إلى فنون البديع على أنّها مجرد محسنات

(١) ينظر: المرجع السابق.

(٢) عروس الأفراح ٢/٢٢٥.

حسنها حسن عرضي، يأتي بعد تمام المطابقة ووضوح الدلالة، نظرة غير سديدة، ولا تتمشى مع نظرة المتقدمين، الذين جعلوا الحسن في تلك الفنون حسناً ذاتياً، يقتضيه المقام ويدعو إليه الحال" (١) ولا شك أنّ مثل هذا الصدع، قد كان له أثر كبيرٌ على النظرة الجائرة لمرتبة البديع؛ إذ أوصلهم إلى نتيجة أنّ البديع تابعٌ لبلاغة الكلام، ومكتملٌ ثانويٌّ لها.

د - أثر مرحلة البديعيات في تشويه النظرة لمرتبة البديع:

بعض النظر عن أسباب نشوء هذا الاتجاه من التأليفات التي نظرت للبديع، في منتصف القرن السابع، أي في القرن الذي يلي ظهور كتابات المدرسة الفلسفية، التي حمل لواءها السكاكي، فإنّ أهم ما ينبغي لنا أن نلاحظه على بلاغة هذه المرحلة، هو الإسراع في التسابق في جمع الألوان التي يقضيها المقام أو لا يقضيها، مهما كانت تافهة، بل ربما لم ترد في الكلام العربي الفصيح، ثم الإطالة في الشرح الذي لا يؤدي بالبلاغة إلا إلى التعقيد والضعف والكثرة في الأسماء.

وقد أدى التكنيز الاصطلاحي الذي مارسه أصحاب البديعيات وشُرّحها - من حيث لا يشعرون - إلى دعم المبدأ المعرفي الذي انتهى إليه الخطيب القزويني في جعل البديع تابعاً للبلاغة لا أصلاً من أصول مباحثها؛ لأنّ تضخّم الأسماء عندهم كشف بصورة عملية أنّ البديع ليس قادراً على حفظ انتظام العلم وضبط حدوده إذا تُرك مستقلاً، وأنّ بنيته قابلةٌ للانفلات الاصطلاحي أكثر من قابليتها للبناء النسقي التفسيري. وهكذا فإنّ التجربة التاريخية نفسها

(١) علم البديع دراسة تاريخية وفتية لأصول البلاغة ومسائل البديع ص ١١٤.

أثبتت أنّ البديع لا يستمدّ معناه من ذاته؛ بل من إحكامه داخل نظام البلاغة الأشمل، وأنّ قيمته تكمن في كونه أثرًا لاحقًا مكتملاً لا أصلًا مؤسسًا؛ إذ إن غياب المرجع الأعلى الجامع الذي يضبط الاصطلاح قاد مباشرة إلى تحوّل البديع إلى حشد أسماء وعناوين لا إلى جهاز تحليلي منتج.

كما أنّ فعلهم هذا رسّخ وهما مفاده أنّ نموّ العلم يقاس بتكاثر التسمية لا بتعميق القدرة على التحليل، فالميل إلى توليد أسماء متقاربة الدلالة، وإعادة تسمية الأنماط البلاغية نفسها بصور متكررة، قاد إلى تضخم اصطلاحي حجب جوهر النظر البلاغي وحوّله إلى صناعةٍ لفظيةٍ لا صناعة منهجية. وهنا نشأت علةٌ منهجيةٌ عميقة: وهي أنّ البديع تحوّل في تلك المرحلة المتأخرة إلى حقل تراكم أسماء، بينما عسّرت فيه القدرة على إنتاج نظر نقدي قابل للتمييز وتحديد مراتب الظواهر، وهذا أضعف وظيفة البديع في الخدمة التحليلية للبيان والمعاني^(١).

* * *

(١) ينظر: قضايا المصطلح البلاغي ص ٢٩.

المبحث الآخر

العوامل المفترضة في ترتيب مباحث البلاغة والنظر لمراتبها

يقتضي النظر العلمي في ترتيب مباحث البلاغة العربية، أن يُبنى هذا الترتيب على أسسٍ معرفية، تتكافأ مع طبيعة الموضوعات التي يتناولها كلّ مبحث، لا على اعتباراتٍ تقليدية أو تعليمية فحسب. فالبلاغة - في أصلها - علمٌ كليٌّ يتوخّى الكشف عن سرّ التأثير في الخطاب، وكان الأولى أن تُراعى في تقسيم مباحثها منزلة كلّ فنٍّ من هذه الفنون في تحقيق ذلك المقصد، غير أنّ تاريخ البلاغة العربية يكشف عن أنّ ترتيب هذه المباحث لم يجرّ دائماً وفق هذا المنطق، بل خضع لمؤثراتٍ متباينة أملت على العلماء أن يقدموا بعضَ الفنون على بعض تبعاً لميلٍ معرفي أو ذوقي أو عقدي.

ومن هنا تأتي أهمية إعادة النظر في العوامل التي كان ينبغي أن تكون بمثابة معايير معتبرة في ترتيب المباحث البلاغية، لا بوصفها مساراً تاريخياً فحسب؛ بل بوصفها مؤشراتٍ على طرائق التفكير البلاغي ذاته، وعلى ما كان ينبغي أن يُراعى في بناء هذا الترتيب لو أُقيم على منطقٍ علميٍّ ومعرفيٍّ دقيقٍ يوازن بين النظرية والتطبيق، وبين العقل والذوق، وبين الأصل والفرع.

وفيما يلي أهم هذه العوامل:

أ- العلمية والفنيّة:

المفترض أن قواعد البلاغة ومسائلها عندما تدرس دراسة نظرية منظّمة، يقال: علم البلاغة، وإذا ما طبقت هذه القواعد تطبيقاً عملياً بإنشاء الكلام

البليغ، قيل: فنّ البلاغة، والفرق لا يستغني عن العلم الذي عصمه عن الخطأ،
وعلم البلاغة لازمة من لوازم فنّ الإبلاغ^(١).

ويلفت بعض الباحثين النظر إلى ما يدل على أنّ هذه الثنائيات كانت حاضرةً منذ بواكير التأليف البلاغي، من خلال رأيه في تأخر ظهور مباحث علم المعاني عن مباحث علمي البيان والبديع، في أعمال الرواد الأوائل؛ كالجاحظ، وابن المعتز، وقدامة بن جعفر وأبي هلال العسكري، وابن رشيق، وابن سنان الخفاجي، وكيف أنّها تكاد تخلو من مسائل علم المعاني، إلا لمحات خاطفة عن الإيجاز، والإطناب، والتقديم والتأخير، حيث يعزو ذلك إلى أنّ طبيعة هذه المعارف علوم، بينما التشبيه والمجاز والكناية وسائر أنواع البديع، فنون تعلن عن نفسها، وتتألق بوضوح في النصوص المستعملة فيها، وتلفت الأنظار لفتاً قوياً إلى ملاحظتها، وتجذب المتلقين لإمتاعها؛ كونها تتعلق بجماليات الشكل أكثر من المضمون؛ كالتصوير في البيان، والزخرفة في البديع، أما مسائل علم المعاني فإنّها تحتاج إلى عمق نظر^(٢).

ومن شرّاح التلخيص من عرضوا لهذا المعيار عرضاً فلسفياً؛ إلا أنّهم لم يثوروا طاقاته المعرفية في ترتيب الأنواع الثلاثة ولا مسائلها بشكل واضح، نجد ذلك عندما نعرض لكلام الدسوقي في تفرقة بين العلم والفرق في مطلع استشكاله

(١) ينظر: أصول النقد الأدبي ص ٥٧ - ص ٦٨، والأسلوب ص ٣٠، والفرق وتأثيره الاجتماعي والتربوي ص ١٠، وأبعاد العلاقة الفعلية والمفترضة بين الفنّ والعلم ص ٢٥٥، وعلم اجتماع الفنّ ص ١٥، والعلم بين الحقيقة والنمذجة ص ٢٠.

(٢) ينظر: دراسة تطور مباحث علم المعاني عند أعلام التراث العربي ص ٨٠.

لتعبير صاحب التلخيص بـ " الفن الأول علم المعاني". فقد أفاض في التفرقة بينهما بحمل الفن على القضايا الكلية، وحمل العلم على الملكة أو القواعد^(١). وبناءً على هذا القول يمكننا أن نتساءل: لماذا لم يتأخر علم المعاني عن علمي البيان والبديع في التصنيف لدى مدرسة السكاكي ومن حذا حذوه؟ خاصة أن هذه الكتب ألفت لتدرّس، ولا أدلّ على ذلك من انصراف هم علماء المشرق والمغرب لتلخيصها وشرحها ونظمها، والعرف في منهج ما ألفت للتدريس أن يبدأ المصنف بالأيسر والأوضح والأمتع من مسائل العلوم إذا لم يترتب بعضها على بعض في الفهم.

ولعل فيما قدّمنا من كون العلمية أكثر حضورًا في مسائل المعاني منها في غيره، هي التي جعلت رواد هذه المدرسة يخصّونها بمزيد اهتمام من تقديم وتفصيل، فلا يخفى أن قوّة المصنّفات تكون في بدايتها، وجلّ نشاط أصحابها يُرى في بواكير أعمالهم؛ ولهذا كانوا يتدئون به، والمتأمل في الكم والكيف الذي حظيت به أساليب المعاني دون البيان والبديع يطمئن لمثل ما يظهر لي هنا. وهنا نقول: هل كان ترتيب مباحث البلاغة عندهم أمرًا خاضعًا لمعيار مراتبيّ مبنيًا على هذه المفارقة بين العلم والفنّ، فكان تقديم علم المعاني - مثلًا - في البحث والتبويب لديهم على البيان، نابغًا من كون المعاني علمًا له قوانينه وقواعده ونظرياته الثابتة، في أصل وضعه للمادة التي اختص بها، وتبعيته لعلمٍ منطقيّ بحثّ وهو علم النحو المبني على قواعد منطقية، بينما البيان صار فنًّا؛ لأنّه يترخص فيه بمثل ذلك؟ بمعنى أنّ العلمية في المعاني أكثر حضورًا ومراعاةً

(١) ينظر: حاشيته في شروح التلخيص ١٥١/١ وما بعدها.

من البيان الذي ينشط في جانب التطبيق الإبداعي، والذي قد يُستغنى عنه أصلاً بأنواع أخرى من التصوير على ما سيرد تفصيله؟

ب - اللفظ والمعنى:

لا ينبغي عند طرح قضية الأنواع البلاغية ومراتبها وألوية مسائلها في التنظير، أن يُغفل الباحث النَّظْرُ إلى ذلك من زاوية اللفظ والمعنى، فالفصاحة - مثلاً - تلك التي تتصدَّر مسائل البلاغة في كتاب المفتاح وشروحه باعتبارها شرطاً لها؛ إنما استحقت هذه الأولوية لبعدها ينتمي لهذه الثنائية؛ أعني اللفظ والمعنى "فالفصاحة هي تمام آلة البيان وهي مقصورة على اللفظ؛ لأنَّ الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى" (١).

ولأنَّ "اللفظ هو الحامل المادي، والمقابل الحسي المنطوق للمعنى الذي هو فكرة ذهنية" (٢)، قدّم عليه في التداول، ولهذا تقدّمت قضاياها في الدرس، كما هو الحال مع تقديم الفصاحة على قضايا المعنى.

إذا تقرر ذلك، وجب على طالب البيان أن يعرف - قبل الشروع في البلاغة - معنى الفصاحة؛ لأنَّ شرطه، والشرط لا يسبق المشروط، "وما عقد أئمة البيان الفصول، ولا بوّبوا الأبواب، إلا بغية أن يُوقفوا المسترشد على تحقيقات، وملاحظات، وضوابط، إذا روعيت في خطابه، أو كتابه، بلغت الحد المطلوب من سهولة الفهم، وإيجاد الأثر المقصود في نفس السامع" (٣).

(١) ينظر: كتاب الصناعتين ١/٨.

(٢) ينظر: الدلالة وجدل اللفظ والمعنى ص ١.

(٣) جواهر البلاغة ص ١٧.

ومن المصنّفين مَنْ استلهم هذا المعيار والذي قبله في تصنيفه لمسائل البلاغة، ودمج بينهما، كيحي بن حمزة العلوي الذي وسم المعاني والبيان بـ"العلم"، جمع بينهما في الهوية وفرّق في تناول، وخصّ البلاغة بالمعاني، وقدّم البيان عليه في الطرح بقوله: "علم البلاغة والفصاحة وهما يأخذان من العلوم الأدبية صفوها، ويقعان منها مكان الواسطة من عقدها، فإذا تمهدت هذه القاعدة فنقول: العلم المعبر عنه بعلم البيان هو علم الفصاحة، وعلم المعاني هو المعبر عنه بعلم البلاغة. وهو أجل العلوم الأدبية قدرًا ومكانًا، وأعلاها منزلةً، وأكبرها شأنًا؛ لأنّه علمٌ يستولي على استخراج أسرار البلاغة من معادنها. وهذه توجد محاسن النكت المودعة في أصدافها ومكامنها، وهو الغاية التي ينتهي إليها فكر النظار، والضالة التي يطلبها غاصة البحار، وعليه التعويل في الاطلاع على حقائق الإعجاز في القرآن، وإليه الإسناد عند المسابقة في الحصل والرهان، ومنه تستثار المعاني الدقيقة على مر الدهور وتحرم الأزمان، فظهر بما ذكرناه أن موقع علم البيان من العلوم الأدبية موقع الإنسان من سواد الأحمق. ومن ثم لم يستقلّ بدركه وإحراز أسراره إلا كل سباق"^(١).

وكما نرى فإنّ تقديم مثل هذا المبحث ليس لأنّه يفوق علوم البلاغة في المنزلة؛ بل لأنّه يعد بوابة العبور إليها، ليس إلا، فإنّنا لم نجد مَنْ يقول بأنّ الفصاحة أعلى قدرًا من البلاغة، فكان التقديم للرتبة لا المرتبة.

(١) الطراز ١/١٥٠.

ج - إعجاز القرآن:

لعلّ من أهمّ الأسباب - في نظري - التي تدفع إلى التعمق في مسائل علم من علوم الآلة، هو الدافع لوجودها من خدمة القرآن الكريم، ولهذا نجدهم اعتنوا بعلم المعاني بإعطائه أولوية في التصنيف على أخويه؛ لارتباطه بإعجاز القرآن الكريم، فقد كانوا يعرفون البلاغة به ويرونه أصل علوم معرفة الإعجاز، علاوة على ارتباطه بعلم النحو، الذي لاقى رواجًا كبيرًا بمدارسه المتعددة، فترة الحراك المعرفي الذي كان على قدم وساق، فهذا إمام البلاغين عبد القاهر الجرجاني يُسمّي كتابه الذي كرس معظمه لمسائل علم المعاني دلائل الإعجاز، ولا يخفى على ذي لب خصوصية التراكيب القرآنية، التي أعجز الله بها العرب، وثارؤها وأثرها في توجيه المعنى القرآني، وتبين مرادات الله من العباد، التي تعتمد اعتمادًا أساسيًا على هذا العلم دون أخويه، واستقلال أصحاب المذاهب على اختلافهم لهذا العلم في توجيه المعنى، بما يتناسب مع معتقداتهم.

ولهذا العامل اشترط الزمخشريّ علم المعاني في تفسير القرآن قبل البيان، فضلًا عن بقية العلوم جملة، يقول في مقدمة تفسيره عن مقاربي معاني التنزيل: "لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق، إلا رجلٌ قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علم المعاني، وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التنقيح عنهما أزمنة، وبعثته على تتبع مظاهما همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله، بعد أن يكون آخذًا من سائر العلوم بحظ"^(١).

(١) الكشف ٢/١

وهذا أبو حيان الأندلسي المفسر اللغوي البارع يحصر البلاغة في المعاني، وهو ينعى على مَنْ لم يتقنه ويتقن علم البيان وهو يروم تفسير القرآن، يقول: "وقد رأينا مَنْ يُنسب إلى الإمامة في علم النحو وهو لا يحسن أن ينطق بأبيات من أشعار العرب، فضلاً عن أن يعرف مدلولها، أو يتكلم على ما انطوت عليه من علم البلاغة والبيان، فأنتى لمثل هذا أن يتعاطى علم التفسير"^(١).

إذن لَمَّا كان نشاط علماء تفسير القرآن الكريم منصباً عليه، اهتم به مصنفو البلاغة، فنرى السكّاكبيّ رأس المدرسة الفلسفية يقدّمه على البيان وهو يتحدث عن الإعجاز؛ حيث يقول: "ولا يمكن تحصيله لغير ذوي الفطرة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان والحدق فيهما"^(٢).

د - المذهب الفكري:

عادة ما يكون المذهب الفكري هو الموجّه الأول للمصنّفين لنظرتهم للمعارف، ولو أنّ البلاغيين أقاموا منهجهم في التأليف على ضوء التوجّه الذي كان يهيمن على الساحة الفكرية آنذاك، لما فاتت فرصة مبكرة لتأسيس تصوّر للبلاغة الحجاجية التي لم تُعد صياغتها إلا في النظريات التداولية الحديثة، بعد قرون من التجاهل لتلك الجذور الكامنة في تراثها، لا سيما وقد أشير إلى هذا النوع في بواكير التنظير البلاغي، كالبديع لابن المعتز (٢٩٦هـ)، فقد أورد أنواعاً بلاغية كان يمكن استثمارها في هذا المضمار كالمذهب الكلامي.

(١) البحر المحيط ١/١٩٠.

(٢) نسبة السيوطي له في الإتقان ٤/١٣٠. ولم أجده في المفتاح.

وهم لم يدركوا أنّ هذا النوع هو جوهر الظاهرة البديعية، ولو فهم البديع من جهة علاقته بالجدل وعلم الكلام الذي أخذ يتسرب إلى لغة الشعر، لعرف أنّ البديع بدعة وأسلوب جديد في التعامل مع اللغة الشعرية، بدلاً من أن يُعد تابعاً للبلاغة^(١).

وبحسب البحوث النقدية الحديثة صار المفهوم الحجاجي يدرس ضمن منهج البحوث اللسانية التداولية، التي تصر على أنّ البلاغة تداولية تواصلية، "والمفهوم الحجاجي لا يبتعد في مفهومه عن التأثير بالمتلقي، عن طريق حشد الأدلة لفرضية ما، وهذا في جانب من جوانبه يتماش كثيراً مع المذهب الكلامي"^(٢).

هـ- المذهب العقدي:

لا شك أنّ الفكر مرآة للعقيدة، ولقد وظّف علماء البلاغة ترتيب مباحث البلاغة في ترويح مذهبهم العقدي، ما يجعلنا نفسر ولوع المعتزلة بربط الإعجاز بفصاحة الألفاظ، فكان ذلك مبرراً لتقديم مبحث الفصاحة بين مباحث البلاغة، باعتباره أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم، فبالرجوع إلى أصول مذهبهم الاعتزالي، وموقفهم من كلام الله الذي يتلخص في كونه مخلوقاً، وأنه عبارة عن حروف القرآن وأصواته المقطعة وألفاظه، ندرك سر ردّهم المزية لفصاحة الألفاظ^(٣).

(١) ينظر: المذهب الكلامي مفهومه النظري وتحليلاته في شعر المتنبي ص ٥.

(٢) مقال الحجاج البلاغي في التداولية الحديثة على الشابكة.

(٣) ينظر: المدخل إلى بلاغة أهل السنة ص ١٢٥.

لقد أطرّت هذه الفكرة آراء المعتزلة في مجال البيان، ودفعتهم إلى الاهتمام بالألفاظ وفصاحتها، وجعلتهم يركّزون بحوثهم حول الصياغة اللفظية، باعتبارها أهم وجهٍ من وجوه الإعجاز القرآني.

وبهذا يتبين جلياً أنّ تصديرهم لهذا المبحث في ترتيب مباحثهم البلاغية لم يكن مبنياً على نظرة مراتبية منهجية، وأتّما مواتاة ونصرة لأصول مذهبهم في الاعتزال، كما صنع القاضي عبد الجبار (٤١٥هـ) الذي ردّ إعجاز القرآن إلى فصاحة الألفاظ؛ فلماذا جعل المزية في الألفاظ دون المعاني^(١).

وكذلك صنع الجاحظ قبله حين قال: "والقرآن جسم وصوت"^(٢)، والصوت كما هو معلوم هو كنه اللفظ، ولهذا عرّفوا اللغة بأنّها أصواتٌ يعبر بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم^(٣)؛ أي: أن الأصوات هي ألفاظ لأغراض كامنة في ذات الإنسان، وأنّ تلك الأغراض معان، بل أفرد بعضهم لها الكتب وكأنّ البلاغة - بأسرها - متمثلة في الفصاحة، يتجلّى ذلك في صنيع ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة؛ ولهذا كانوا يسمّون البلاغة بالفصاحة في بادي أمرها، ولو لم يتصدّ لهم علماء السنة؛ كابن قتيبة، والخطّابي، والطبي، وغيرهم من الأشاعرة المحسوبين على أهل السنة في ذلك العصر كالإمام الباقلاني، والإمام عبد القاهر الجرجاني، الذي واجههم بنظريته التي أنصفت المعاني والألفاظ معاً، وتوجّ ذلك في حديثه عن النظم باعتبارهما مكونين رئيسين له. لولا تلك الجهود لترسخت

(١) ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل ١٦/١٩٧.

(٢) رسائل الجاحظ ٣/٢٩٠.

(٣) الخصائص ١/٣٣.

هذه الفكرة في التراث البلاغي، خاصة وأنّ غلبة ميدان البحث فيه كانت للمعتزلة.

و - المستهدف بين المتكلم والمخاطب:

يهتمّ علم البيان بمطابقة الكلام للمراد منه، بينما يهتمّ علم المعاني بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، وبعبارة أخرى: إنّه إذا كان علم المعاني يهتمّ أساساً بالموقف الخارجي: المقام، فهو بهذا يجعل السامع مركز اهتمامه، فإنّ علم البيان يهتمّ أساساً بالموقف الداخلي أو المراد، وبالتالي يجعل قصد المتكلم مركز اهتمامه، وعليه يمكن القول: إنّ علم المعاني يُعنى أساساً بشروط إنتاج الخطاب، بينما يُعنى علم البيان أساساً بقوانين تفسير الخطاب^(١).

إنّ اشتراك مفهوم البلاغة ومفهوم علم المعاني في عنصر مقتضى الحال، الذي قام علم المعاني على أساس مطابقته له - في تعريف أرباب هذه المدرسة - هو من أسباب تقدّم مباحث المعاني على البيان والبديع في الترتيب لا المرتبة، فلا تحفى سلطة المقام في هذا التنظير، ونحن نعلم كيف أصبح لهذا شأن كبير في الدراسات النقدية الحديثة، كالتداولية؛ ذلك أنّها تهتمّ بذلك الخيط العلائقي الذي يربط بنية النص بعناصر الموقف التواصلية، الذي يطلق عليه سياق النص، بمعنى أنّ وجهتها الأساسية تنكبّ على مقارنة تلك الصلة التي تجمع بين النص والعناصر الخارجة على بنيتها الداخلية، والمتمثّل بشكل عام في المقام أو سياق النص، أي أنّ مفهوم التداولية يأتي ليغطي - بطريقة منهجية منظمة - المساحة

(١) ينظر: بنية العقل العربي ص ٩٧.

التي كان يشار إليها في البلاغة العربية القديمة بعبارة مقتضى الحال ولكل مقام مقال^(١).

وإذا أهملنا هذا العامل، فإنّه لا يمكننا تقديم أحدهما على الآخر في المرتبة، ما داماً يأرزان إلى قطبي عملية الخطاب التي هي سبيل الإبلاغ. ولهذا من قدّم أحد المباحث وهو يضع مستهدفه قبل أن يصنّف قد يكون قد راعى هذا المعيار بامتياز.

ز - التقسيم المنطقي للعلوم:

يُخْطئ بعض الدارسين تقسيم البلاغة العربية أثناء تنظيرها إلى فنون، فيرى أنّ حقيقتها قطعة واحدة غير قابلة للتجزئة والنحت، فمطابقة الكلام لمقتضى الحال تشمل مباحث البلاغة كلها، وكذلك تتبع خواص تراكيب الكلام لا تخصّ نوعاً واحداً من أقسام البلاغة، وأنّ الاستحسان والاستهجان ينطبق على موضوعات البلاغة كلها، وأنّ إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان لا يخص البيان وحده، فموضوعات المعاني المختلفة كالتفاوت في أضرب الخبر يجيء بحسب استدعاء حال المتلقي لدرجة الوضوح المطلوبة، يضاف إلى ذلك أنّ الاحتراز عن الخطأ ينطبق على البلاغة، وعلى هذا الأساس فلا فائدة في تقسيم البلاغة هذا التقسيم المنطقي؛ مادام كلٌّ من الفصاحة والمعاني والبيان والبديع يشترك في الخصائص المتقدمة^(٢).

(١) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: ٢٥٠ - ٢٥١، والمظهرات التداولية في البلاغة العربية ص ١٠ وما بعدها.

(٢) ينظر: تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ١١١، والبلاغة العربية من جمال التدوق إلى جمود التعقيد ص ٢-٣، والبيان العربي ص ١٩٦، والبلاغة عند السكاكي ص ١٣٤-١٣٥.

ويستند أمثال هؤلاء إلى السبكي ومَنْ سار سيره في موقفهم من علوم
البلاغة المتمثل في التالي:

١- جعلهم علم البلاغة مجموع العلمين (المعاني) و(البيان) في مثل قوله:
"وتداخل علم البيان وعلم المعاني كثير"^(١).

٢- جعلهم علم البديع من توابع البلاغة؛ إذ يقول: "والتابع والمتبوع علم
واحد"^(٢)، فهو لا يرى البديع خارجًا عن البلاغة لا تطبيقًا ولا تنظيرًا.

٣- تعريفهم كلاً من البيان والمعاني بتعريف الآخر؛ إذ يقول السبكي مثلاً:
"وقد يقال: إنَّ علم البيان يراد به تطبيق الكلام على مقتضى الحال، وأنَّ علم
المعاني يقصد به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة"^(٣).

ويمكن الرد على هؤلاء بأنَّ السبكي وإنَّ وجهه إلى صلة العلوم الثلاثة في
الشرح الأدبي للموقف البلاغي، إلا أنَّه فضَّل بينها على سبيل الدراسة
العلمية^(٤).

ويستدلُّ بعض المتأخرين على هذا التداخل، بالاختلاط الحاصل عند
التنظير، في نسبة مسائل العلوم، إذ يقول: "إنَّ مما يدلُّ على أنَّ مباحث هذه
العلوم ليست متميزة أنَّ بعض المؤلفين أدخل المجاز العقلي في علم البيان، بينما
غيرهم أدخله في علم المعاني، وكذلك نجد جماعة أدخلوا التذييل والاحتراس
والاعتراض والحشو في البديع، وأدججها غيرهم في المعاني وجعلوها أقسامًا

(١) عروس الأفراح ١/٤٩٣.

(٢) عروس الأفراح ١/٥٠٠.

(٣) عروس الأفراح ٣/٢٦٠.

(٤) ينظر: الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي ص ١٣٤.

للإطناب، فلو كانت هناك حدود واضحة تميّز قسمًا من قسم، لما جاء مثل هذا الاختلاط والارتباك في تفرّيع هذه المسائل، ووضعها في المواضع المناسبة لها^(١)، ومثل هذا حصل مع فنّ الالتفات، ما اضطرّ أبا يعقوب المغربي، أن يبرر لكلّ من ذلك تبعًا لجهة اقتضاء الكلام، فإنّه إذا اقتضى المقام إفادةً كان من المعاني، وإنّ اقتضى حسنًا كان من البديع. وهذا يدل على أنّ معيار المراتب ليس في ترتيب الفنّون، وإتّما في جهة اقتضاءها في المقامات.

والذي يجب قوله: أنّ السكّاكي وإن كان قد أكثر من التقسيمات، وتفرّيع مباحث العلوم، بأقسام تعتمد على العقل أكثر من اعتمادها على الإحساس الفنّي وشيوعها في كلام العرب، لكنّ الحقّ الذي لا مناص عنه أنّ هذا التقسيم ضروري لدراسة فنّون البلاغة نفسها، فغاية السكّاكي بتقسيماته تعليميّة، فنظر الى هذا العلم نظرة فلسفيّة تُحدّد ما بينه وبين سائر فنون الأدب من النسبة والارتباط، وتميزه عنه تميّزًا واضحًا، وتحصر أبوابه ومباحثه حصرًا عقليًا^(٢) لا يهمل الذوق الذي يقول عنه: "وكان شيخنا الحاتمي يميلنا بحسن كثير من مستحسنات الكلام إذا راجعناه فيها على الذوق، وها هو الإمام عبد القاهر قدّس الله روحه في دلائل الإعجاز كم يعيد هذا"^(٣).

(١) تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها ص ١١٥ وما بعدها. يقول السيوطي في كتابه إتمام الدراية لقراء النقاية ص ١٣٧: "وأنواعه أي البديع وهي الوجوه المذكورة كثيرة جدًّا تربو على المائتين، وفي بديعية الصفي منها مائة وخمسون نوعًا، ومَرَّ منها كثيرٌ في فنّي المعاني والبيان كأقسام الإطناب".

(٢) البلاغة عند السكّاكي ص ١٢٣.

(٣) مفتاح العلوم ص ١٦٨.

ثم إنّه لم يعلّق الرتبة بترتيبه للمباحث، وقد رأينا كيف أنّ هناك مقتضيات فلسفية لا مقامية اقتضتّ تقديم بعض المباحث على بعض؛ لكونها شرطاً لها، ولم يقل أحدٌ بأنّ المتقدم منها أرسخُ قدماً وأصدقُ مقيلاً من المتأخر لعلّة فلسفيّة؛ بل لأمرٍ أبعد من ذلك كما رأينا من أثر المعتقد على أصحابه في الكلام الآنف الذكر.

ح - الجنس الأدبي:

النصّ الأدبي هو مصدر الإيحاء بالقواعد البلاغية، وهذه القواعد لم تأت من فراغ، فليست البلاغة إسقاطات على النصّ الأدبي من خارجه، بل هي عروقه ولحمته وسداه، ولتقدمي البلاغيين كلامٌ كثيرٌ يُبينون فيه عن تمايز الأجناس الأدبية، في اختصاصها بأساليب بلاغية، فما كل ما كان مقدّماً في الشعر كان مقدّماً في النثر، فالجنس الأدبي يُؤدي دوراً هاماً في تحديد مرتبة الأسلوب البلاغي، "وحسب النظام النحوي في عمق تععيده، أنّه يسهم في فتح خيارات منظّمة أمام منشى اللغة، ويزوّد فنّون القول بالرّخص التي تزيد من موارد الإبداع فيها، كما أنّه يحتوي مولدات الإبداع، ويراعي خصوصية الأجناس الأدبية وطبيعة تشكلها"^(١).

ولأبي سليمان المنطقي (٣٨٠هـ) نصٌّ نفيس، يؤيد ما ذكرت، يخلص متأمله إلى أنّ الفنّون البلاغية لا تعالج الأجناس الأدبية بنفس الطريقة، وإلا فلن تحقق مآربها، فهي وإن اتّفقت في بعض المواقف كيفاً، لا ريب أنّها ستختلف كمّاً؛ وذلك تبعاً لطبيعة تلك الأجناس، ومتطلبات المقامات التي

(١) في خصائص النظام النحوي ص ٧٦.

أنشئت فيها الأعمال الأدبية، يسوق أبو حيان التوحيدي هذا النص قائلاً: "يقول أبو سليمان المنطقي: والبلاغة ضروب: فمنها بلاغة الشعر، ومنها بلاغة الخطابة، ومنها بلاغة النثر، ومنها بلاغة المثل، ومنها بلاغة العقل، ومنها بلاغة البديهة، ومنها بلاغة التأويل. فأما بلاغة الشعر فأن يكون نحوه مقبولاً، والمعنى من كل ناحية مكشوفاً، واللفظ من الغريب بريئاً، والكناية لطيفة، والتصريح احتجاجاً، والمؤاخاة موجودة، والمواءمة ظاهرة. وأما بلاغة الخطابة فأن يكون اللفظ قريباً، والإشارة فيها غالبية، والسجع عليها مستولياً، والوهم في أضعافها ساجماً، وتكون فقرها قصاراً، ويكون ركابها شوارد إبل. وأما بلاغة النثر فأن يكون اللفظ متناولاً، والمعنى مشهوراً، والتهذيب مستعملاً، والتأليف سهلاً، والمراد سليماً، والرونق عاليًا، والحواشي رقيقة، والصفائح مصقولة، والأمثلة خفيفة المأخذ، والهوادي متصلة، والأعجاز مفصلة. وأما بلاغة المثل فأن يكون اللفظ مقتضباً، والحذف محتملاً، والصورة محفوظة، والمرمى لطيفاً، والتلويح كافيًا، والإشارة مغنية، والعبارة سائرة. وأما بلاغة العقل فأن يكون نصيب المفهوم من الكلام أسبق إلى النفس من مسموعه إلى الأذن، وتكون الفائدة من طريق المعنى أبلغ من ترصيع اللفظ، وتقفية الحروف، وتكون البساطة فيه أغلب من التركيب، ويكون المقصود ملحوظاً في عرض السنن، والمرمى يتلقى بالوهم لحسن الترتيب. وأما بلاغة البديهة فأن يكون انخياش اللفظ للفظ في وزن انخياش المعنى للمعنى، وهناك يقع التعجب للسامع؛ لأنه يهجم بفهمه على ما لا يظن أنه يظفر به كمن يعثر بمأموله، على غفلة من تأمليه"^(١).

(١) الإمتاع والمؤانسة ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

وقد أوردت هذا النص بطوله؛ ليدرك المتأمل طبيعة التفكير البلاغي في الكتابات القديمة التي يمكن عدّها من أهم موجهات التنظير الذي سارت عليه المدرسة الأدبية، فلم تكن الأنواع البلاغية يُنظر لها إلا من خلال كونها وسائل لتحقيق غايات الفنّون الأدبية ليس إلّا، ومن ثمّ لو وظّف هذا المعيار في النظر لمراتب فنون البلاغة لكان أكثر إنصافاً لها وأجدى نفعاً.

فالشعر لديهم هو لغة القلب، فوظيفته التصوير لنقل المشاعر، والذي يستطيع أن يلبي احتياجات التعبير عن مقاصد هذه اللغة في الدرجة الأولى هو علم البيان؛ لأنّه المسؤول لديهم عن مدى جودة صورة النقل، كما أنّه الأقدر على مكافحة التعقيد المعنوي، الذي يقع كثيراً في الشعر بسبب قوالبه المحكومة، فلهذا وجدنا ابن المعتز - باعتباره الشاعر المجيد - يهتم بمسائل البيان والبديع. أما النثر فهو لغة العقل والفكر، ووظيفته الإفناع، والذي يستطيع أن يوصل رسالته هو علم المعاني؛ لأنّه المسؤول عن انتقاء الألفاظ، وبناء التراكيب التي يطابق بها مقتضى حال المخاطبين^(١).

فالخطب أكثر المقامات ملاءمة لنشأة الإيجاز وأخصبها لنموه وتطوره، وقد رأينا كيف ركّز الجاحظ على هذا الجنس، في تمرير فكرته عن الإيجاز، لاسيما في بحثه عن خصال الخطيب، كالعيّ والحصر... إلخ. ويمكن أن نذهب بعيداً لمعاينة نماذج أخرى اقتضت الإيجاز، من تلك التي ذكرها المنطقي في كلامه آنف الذكر كالحكم والأمثال "فهذه الأشكال الوجيزة عادة ما تكون على صورة ألفاظ متخيّرة ومتناسقة، موجزة ومختصرة، إلّا أنّها تحتزن معاني عميقة، ومؤثرة

(١) ينظر: من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث ص ٣٣ وما بعدها.

تتعلّق بحدث ما أو مناسبة، ولهذه الأشكال مقاماتها، فهي قادرةٌ على الإبلاغ؛ لما فيها من إيحائية، تُغني عن الإطالة والإسهاب، وتؤسّس للقول الموجز الفاعل في ذات المتقبّل والمؤثر فيها، وتتقاطع الأمثال والحكم مع الإيجاز، في قدرتها على أداء المعنى، وهو ليس معنى كما جاء وانفق، وإنما هو بنية مؤثرة لها أسسها وآلياتها، وتزخر بالمعنى الدال برغم شحّ الشكل - إن صحّ التعبير - وهو شحّ يعكس قدرة بلاغية من المتكلّم أو الناظم أو الباث، في مقابل نباهة المخاطب المؤول الذي يجد مسافة للقراءة^(١).

ط - المسموع والمقروء:

ما أعدّ ليرتجل غير ما أعدّ ليقرأ! فهناك أساليب بلاغية ارتبطت مرتبتها بحسب قالب التعبير الذي دخلته، وهذا الأمر مرتبط بالنظر إلى بواكير القول، فبالعودة إلى المناخ الثقافيّ العربيّ - وبالخصوص علم البلاغة - نلاحظ اعتناء العرب بالملفوظ الشفويّ ومقاماته، وهذا ليس بالأمر الخفي عند كلّ المهتمين بهذا المجال، فنشأة القول الموجز، تحدّدت معالمها ضمن ثقافة المشافهة، التي تعتمد بالأساس على النقل والأخبار والخطب، أكثر مما هو موجود في الكتب ومدوّن في الصحف.

بل ردّ بعض الباحثين ذلك إلى أسباب بيئية صرفة، فمما أشار إليه مصطفى ناصف في محاوراته مع النثر العربي القديم، ما قام به الجاحظ من شدّ الانتباه إلى الكتابة، التي أصبحت تتبلور كمقابل، يحاول أن يساجل الشعر العربي، القائمة بنيته على السماعية والشفاهية، من خلال طرح الجاحظ لإشكالية

(١) الإيجاز من الترفّ البلاغيّ إلى الانتحار الدلاليّ ص ٧٢.

الأجناسيّة في النثر العربي القديم؛ وذلك انطلاقاً من الكتابة، وتحديدًا من فعل الانتقال من ثقافة الشعر الذي ترعرع في البادية إلى ثقافة الكتابة، التي تخلّقت من مخاض الشفاهية الشعرية، وازدهر سوقها في المدينة، وهي تطوي وراءها فكرة النموذج، والخطاب المفرد إلى صناعة الكتابة، التي تتبرم من فتنه الخطابية الشعرية، وما إليها من الإنشاد والانتظام الشاخص^(١).

ولعل ظروف الحياة الصاخبة في البادية الداعية في مجملها للارتجال والاختصار وذكاء ابن الصحراء اللافت، كل تلك الأمور اقتضت أن يتخذ فنّ الشعر وبعض أنواع الخطب نمطًا سمعيًا في التعبير، فالإيجاز - مثلاً - تتجلى قيمته في الشعر باعتباره قالبًا مؤطرًا، وفي بعض أنواع الخطابة خاصّة أي في المقام الشفوي الذي لا يستحمل الثثرة؛ كالأمثال والحكم، ويعود ذلك إلى طبيعة هذه المقامات التي تقتضي موجز القول وأقله؛ جذبًا للمتلقى وتأثيرًا فيه من ناحية، وإلى قدرة المتكلم في ذلك السياق من ناحيةٍ أخرى، وهذا من الأهمية بمكان باعتباره يعكس لنا طبيعة الثقافة العربيّة في القديم القائمة أساسًا على المشافهة في القول "ومقام المشافهة لا يحتمل الإطناب، بحيث تكون اللمحة الدالة هي طريق التأثير؛ ولكنّها لمحّة مشحونةٌ بالمعنى، وليست مجرد علامة تحتزن فقرًا دلاليًا كما هو الحال اليوم مع التقنيات الحديثة، وتبعًا لذلك اقتضت مراسم الشفاهية مثل هذا النوع من الخطاب الدال والموجز في الوقت نفسه، فلا المتكلم يملّ ولا الخيوط التّائمة للفكرة تغيب، وهذا في الحقيقة

(١) ينظر: محاورات مع النثر العربي ٧٣ - ٨١.

جانب تداولي هامّ، يكون فيه المتكلم مراعيًا لحال مخاطبه، حريصًا على شدّ انتباهه؛ بغية تحقيق التّواصل التّاجح^(١).

وليس بدقيقٍ ما ذهب إليه بعضُ الباحثين، من أنّ علم المعاني أنفعُ للنصوص الشفوية منه للنصوص الكتابية؛ متذرعًا بأنّ علماء المعاني مع بيانهم أنّ الكتابة الجيدة يجب أن تكون مؤثرة في المخاطب، إلا أنّهم لم يوفروا أسس الدقة والوضوح الكافيين فيها، ففي فنّ الخطابة من السهل التعرف على حال المخاطب، وتحديد مقتضى حاله، أما الكتابة فلم يكن ذلك بالسهل؛ لأنّهم أغفلوا بيان المحددات، والاستعمالات اللغوية العلمية لتلك الأسس، وتعبير آخر: فإنّ الأصول والقواعد التي ينبغي أن تُراعى في الأشكال التعبيرية المختلفة للنص؛ كالكتابة لم توضع مع حاجتها لذلك^(٢).

وهذا كلامٌ غير دقيق، ومنشأ اضطرابه أنّ صاحبه أراد أن يحاكم نصوصًا غير عربية بضوابط الكلام العربي وأحوال لفظه الخاصّة، ثم إنّ المخاطب في الحالتين إنّ لم يقتضِ هذا الكلام حاله، فهو خارجُ إطار الخطاب المخصوص؛ ولكنّ حاله سامعًا يقتضي الإيجاز؛ لضيق المقام، كما أنّ عوامل أخرى تتأزّر مع الكلمة للتأثير، أغلبها متعلّقة بفنّ التصوير؛ إذ يقوم الخيال بدور لا ينكر في الإخلاق، حيث يشرك القلب جنبًا إلى جنب العقل؛ ليتحمّل جزءًا من التلقي الذي يضمن وصول الرسالة مع ضيق الفرصة، وهو الأمر الذي لا تحتاجه الأنماط الكتابية، التي يسنح فيها المقام بتنظيم رسائل حسّية، الواحدة

(١) ينظر: الإيجاز من الترفّ البلاغيّ إلى الانتحار الدلاليّ ص ٧٣.

(٢) ينظر: مقارنة تحليلية بين الخطاب وعلم المعاني ٣/ ٨٥٢.

تلو الأخرى، لمخاطبة العقل تدريجيًّا، مستعينة بأسلوب الإطناب ولوانه، لحد يكفل لها التأثير من خلال الإقناع.

والذي يمكن الخلوص إليه، أنّ ما اعتمد من الأجناس الأدبية في أداء رسالته الفنيّة على الصورة والتخييل؛ كالشعر الذي يخاطب العواطف، يكون أبلغ بالمشافهة؛ لأنّ الإلقاء وصوت الكلمة له وقعٌ في التخييل، لا يقلُّ عن دور المعنى الذي تعالجه القريحة، وتذكيه التراكيب، في الإفصاح عن المشاعر، واستيعاب ما تجيش به خواطر المتكلم والمخاطب، وهو بذلك أوقع في السمع وأعظم أثرًا، ومن ثمّ يكون علم البيان - بفنونه المشهورة - أكثر نشاطًا في أداء النص الشفوي، وأنّ ما كانت غايته الإقناع كالمخاطبة فهو أولى بأن يكتب؛ لأنّه يحتاج إلى التأمل والتبصّر وإعادة النظر الكثرة بعد الكثرة، وفيه سنرى أساليب المعاني حاضرة؛ لأنّها أقدّر على نقل مرادات خطاب العقل من أساليب البيان، وهو أمرٌ يدركه من عايش النصوص، ومن هنا أثبت عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز)، من خلال الإقناع بمسائل علم المعاني، وأنّه إلى الكشف عن جماليات البيان والبديع في كتابه (أسرار البلاغة)؛ لأنّه في كتابه الأول يجادل جدلًا منطقيًّا، فيكرر أساليب أهل الجدل كقوله: (إن قلت قلنا...)، و(كيف لا يكون الأمر كذلك)، و(ما هو إلا كذا وكذا...) وهو في كتابه الثاني أديب يعمد إلى التحليل الفتي، وإبراز ما في الكلام من بلاغة وجمال.

ي - التصوير:

لا يمكن رصد خصائص العبارات اللغوية، إلا إذا ربطت بنيتها لوظيفتها التواصلية والوظائف الأخرى، وأساليب البلاغة أدوات لوظائف لا تؤدي عملها إلا في إطار عوامل رئيسة، ينتظمها الموقف الكلامي، وهي المتكلم والمستمع والأشياء، ويقوم الرمز اللغوي على التواؤم مع هذه العوامل؛ لتأدية الحمولة الدلالية المسماة بالقوة الإنجازية، سواء تلك القوة الحرفية المدركة مقالياً، أو المستلزمة المدركة مقامياً^(١).

وإذا كانت وظيفة البلاغة التصوير، وهو أمر يقع بجميع علومها البيان والمعاني والبديع، فالنظم بطاقاته التركيبية يصوّر المعنى، ووجوه البديع المعنوي تصور المعنى، تماماً كما تفعل طرق البيان: (التشبيه، والاستعارة، والكناية) إن لم تفقها في تقانات الكم والكيف.

وقد لفت هذا المعيار بعض الباحثين فراح يُفرّق بين وظيفة علوم البلاغة حيال هذه الغاية الفنية، فذهب إلى أنّ (البيان) علم دراسة صورة المعنى الشعري، وأنّ البديع والعروض والقافية علومٌ تهتم بالصورة الصوتية في التعبير الشعري^(٢).

وقد قام البلاغيون بجهدٍ كبير في دراسة الصورة البلاغية، ووضع القواعد لها، وقد توقفت دراساتهم البلاغية عند جزئية صغيرة فيها، تدور حول محورين هما: المشبّه والمشبّه به، فاهتدوا إلى بعض العلاقات اللغوية التي يمكن أن تقوم

(١) ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم من البنية الوظيفية إلى القوة الإنجازية ص ٧ - ٩.

(٢) علوم البلاغة د. محمد أحمد قاسم وآخر ص ٥٥.

بين هذين المحورين الأساسيين، وتوصّلوا إلى مجموعة من الأسماء التي حاولوا أن يحصروا الصورة فيها، فكان هناك التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز بنوعيه: المرسل والعقلي، وبعض فنون البديع المعنوي.

ومعظم الدراسات البلاغية القديمة، تدرس الصورة المفردة مجردة عن سياقها، فتبين خصائصها ووظائفها معزولةً عن الصورة العامة للنص، وهذه الدراسات مفيدة لفهم طبيعة الصورة الجزئية؛ ولكنّ الاقتصار عليها، وحصر الجهود فيها، وجعلها معيارًا للجمال، يضرّ بالفهم الكلي للنص، ويضعف من إدراك فكرته التي جاءت الصورة تعبّر عنها، في لحمه متماسكة ونسيج فيّ موحد.

إنّ إهمال دراسة السياق أو العلاقات القائمة بين الصور يضاعف من قيمة الصورة، وقد لاحظ ذلك عبد القاهر الجرجاني، حين حاول ربط الصورة بالنسق في نظرية النظم، وهو ما يقوم به النقد الحديث من دراسة الصورة من خلال مفهوم النسق، ضمن العلاقات المتعددة التي يقوم عليها النص^(١).

فبعد القاهر بنظريته أثبت أنّ التصوير يقع بالنظم؛ فالصورة ليست بياناً فقط؛ بل علاوة على ذلك هي حيلة لغوية يراد بها المعنى البعيد لا القريب للألفاظ، أو يغير فيها الترتيب العادي لكلمات الجملة، أو لحروف الكلمة، أو محلّ فيها معنى مجازي محلّ معنى حقيقي، أو يثار فيها خيال السامع، بالتكنية عن معانٍ يستلزمها المعنى المألوف للفظ، أو ترتّب فيها الألفاظ، أو يعاد ترتيبها لتحسين أسلوب الكلام أو زيادة تأثيره في نفس القارئ أو السامع^(٢)، فواضح

(١) ينظر: وظيفة الصورة الفنيّة في القرآن ص ٥٧.

(٢) ينظر: علوم البلاغة ص ٢٥٤.

من هذا التعريف أنّ الصورة الفنّية داخله في علوم البلاغة جميعها: المعاني، والبيان، والبديع.

فالصورة هي "الشكل الفنّي الذي تتخّذه الألفاظ والعبارات، بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خالص؛ ليعبّر عن جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدمًا طاقات اللغة، وإمكاناتها، والدلالة والتركيب، والإيقاع، والحقيقة والمجاز، والترادف والتضاد، والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفنّي. وهنا يتضح أنّ الصورة شملت أدوات التعبير كلها؛ ولهذا كان البديع والبيان والمعاني والعروض والقافية وغيرها من وسائل الصورة الشعرية"^(١).

وهنا يمكن القول بأنّ مَنْ ينظر لمراتب فنون البلاغة مراعيًا هذا المعيار، يجب أن لا تقتصر نظرتة على علم البيان في رتب التصنيف ومراتبه؛ لكونه لا يعدو أداة من أدوات التصوير، وإن كانت أبينها وأكثرها التصاقًا ووضوحًا فيه، وإن اقتصر البلاغيون في المدرسة الفلسفية عليه بوصفه نموذجًا واضحًا للتصوير يناسب الهدف التعليمي، لكنّ هذا أضّرّ في الحكم على مرتبة علم البيان عند مَنْ جعل الترتيب القرينة الوحيدة على الرتبة.

* * *

(١) علوم البلاغة ص ٢٥٥.

الخاتمة والنتائج

١- المتتبع لحركة مصطلحي (الرتبة) و (المرتبة) سينتهي إلى عدم تلازمهما في الدرس البلاغي، بل قد يتعاندان؛ إذ ليس في ترتيب المسائل البلاغية قرينةً على تقدّم مرتبة أحدها على غيره، فإذا وجد البلاغيون في مخالفة المراتب غرضاً إبلاغياً هدموا منطق النحاة، القائم على أسباب بحتة منطقية، ومبررات منهجية تقوى وتضعف، ولا أدلّ على ذلك بأن عاجل البلاغيون درس التقديم والتأخير من وجهة بلاغية تتعاند مع نظرة النحويين، ما اضطرّ هؤلاء للتبرير بأنّ هناك مراتب محفوظة وغير محفوظة كما ذكرنا، فمعيار البلاغة معنوي بحت، وغائي النزعة.

٢- النظر في وظيفة الأنواع البلاغية الثلاثة - بغضّ النظر عن مدى دقّته - أدّى دوراً كبيراً في ترتيب مباحثها عند أرباب هذه المدرسة، فهم يقولون: (العلم الأول) ما يحتز به عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريد المتكلم إيصاله إلى ذهن السامع، ويسمّى (علم المعاني)، و(العلم الثاني) ما يحتز به عن التعقيد المعنوي أي عن أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد، ويسمّى (علم البيان)، (العلم الثالث) ما يراد به تحسين الكلام ويسمى (علم البديع) فعلم البديع تابع لهما؛ إذ بهما يعرف التحسين الذاتي، وبه يعرف التحسين العرضي. وعلى هذا فمن الطبيعي أن يتقدم لديهم ما يُحتز به عن الخطأ، وتتحقق به السلامة التواصلية في الخطاب، على الوجوه التي يصار إليها في وضوح الدلالة، فضلاً عمّا لا يعدو أن يكون مزيجاً عرضياً من وجهة نظرهم.

٣- يمكن عدّ مراتب علوم البلاغة الثلاثة في مصنّفات المدرسة الفلسفيّة من قبيل الرّتب غير المحفوظة، أساسًا منهجيًّا في التّأليف البلاغي، ونظير ذلك في النحو العربي مرتبة المبتدأ والخبر، ومرتبة الفاعل والمفعول، ومرتبة الضمير والمرجع. فمرد التقدّم فيها لمقتضيات الأحوال ومقاصد البناء، وهذا يعني أنّ ثباتيّة مرتبتها غير مطّردة على كل حال، فجهات اقتضاء المقامات هي من تتحكم في مراتب علوم البلاغة، والمراتب في الفنّون ليست أزلية بل آنيّة، تتغيّر بمقتضيات مقاميّة، وهذا يفسّر تنازع الفنّون الثلاثة لمبحث واحد كالالتفات، وهذا يدفع بقوة للقول بتساوي فنّون البلاغة في المراتب عندهم، وأنّ مناط المزية يتفاوت بحسب جهات الاقتضاء وتطلّب المقامات.

٤- من العوامل المهمة التي كان لها أثر بارز في ترتيب المباحث في مصنّفات الفلاسفيين جعلهم (الأصل) معيارًا من معايير الترتيب، كتقديم المعاني على البيان باعتباره أصل بناء التراكيب، وتقديم بحث الخبر على الإنشاء باعتباره أصلًا له، وتقديم دراسة التشبيه على الاستعارة باعتباره أصلًا لها، والمجاز على الكناية لهذا الاعتبار. وهذا أمر منطقي في التدرج في مثل هذا النوع من التصنيف أن يبدأ المؤلّف بما هو أصل؛ لأنّه أقرب في التصور الذهني، وليس لأنّ المقدم أعلى رتبة بلاغية.

٥- من أسباب اضطراب المراتب اختلاف وجهة نظر العلماء في ردّ المبحث إلى الفنّ البلاغي، فالجواز العقلي عند المولعين بعلم المعاني، والذين يرون تقدّمه في المرتبة على قسيميه، يجعلونه فيه، والعكس صحيح بالنسبة للبيان، يعني أنّ من دوافع هذا الاختلاف تعزيز مرتبة أحد الفنّون، بل أعظم من ذلك

إدخال أحد الفنون برقته تحت قسيمه، فلتعزيز مرتبة أحد العلوم قد يلغون كون غيره أصلاً، ويجعلون ما عداه فرعاً عنه، كما يتضح من تحليل السكاكي لتأخير البيان في كتابه بعلة كونه شعبة من علم المعاني، لا تنفصل عنه إلا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد، وكما حصل من جعل الخطيب البديع تابعاً للبلاغة.

٦- لا شك بأنّ نظير مباحث العلوم لا تسلم من الاضطراب إبان الكتابات التي وضعت نواتها، وربما تجد أحدهم يضع المبحث في موضع دون آخر ليس لمرتبة ذلك الموضوع، إنما لما توافر له من شواهد بحسب ما بين يديه، مثل ما صنع السكاكي بوضعه بحث خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، ووضع المضمّر موضع المظهر، ووضع المظهر موضع المضمّر، والالتفات في المسند إليه، فإنّ هذه الموضوعات ليست خاصة بالمسند اليه وحده، وإنّما تدخل على المسند أيضاً. وقد أشار السكاكي نفسه الى أنّ نقل الكلام عن الحكاية الى الغيبة لا يختص بالمسند إليه، ومثل هذا يقال مع تأخيره الحديث عن الإنشاء عن أحوال تتعلق به ذكرها مع الخبر دونه.

٧- كان للمنهجية المنطقية التي التزمها أرباب هذه المدرسة أثر كبير في ترتيب المباحث، ذلك الترتيب الذي أوهم من بعدهم أنّ مردّه مراتبي، والحق أنّ أحدًا منهم لم يقل: إنّ تقديم مبحث على آخر كان نابغاً من مرتبته، بل كانت أغلب تبريراتهم منطقية عقلية، فالسكاكي لا تحفى عليه مكانة مبحث مثل القصر والحذف، وقد عنّت له فرصة تقديمه في المباحث عندما ذكر قصر المسند إليه على المسند، وحذف أحدهما، ومع ذلك فالتزامه بقانون الحديث

عما يقع بين ركني جملة الإسناد في البداية ثم الحديث عما يقع بين الجمل بكاملها، هو الذي جعله يؤخّر الحديث عن تلك الموضوعات، مع تقدم مزايها في كلام المتقدمين والمتأخرين. ولهذا كانوا يشيرون بين الفينة والأخرى إلى مثل ذلك وبنّبّهون عليه، كالخطيب وهو يتحدث عن أحوال المسند فقد أشار إلى أنّ كثيراً مما ذكر في هذا الباب والذي قبله غير مختص بهما، كالذكر والحذف وغيرهما، والفتن إذا أتقن اعتبار ذلك فيهما، لا يخفى عليه اعتباره في غيرها.

٨- من الأمور التي قد توهم سطوة الترتيب في الحكم على المرتبة، والاتّجاه لتلازمهما عند بعض النقاد، ما صنعه السكاكي بحرمانه علم البديع من التسمية، فقد اكتفى بوصف ألوانه بأنّها وجوهٌ يصار إليها في تحسين الكلام، مع أنّه أرجع الحسن فيه للمعنى، ومعلوم أنّ قضية اللفظ والمعنى تصدّرت قائمة القضايا النقدية، والذي تفضّل لهذا من المتقدمين جعله أسّاً للبلاغة، بل وأدخل في عباة أهجّل مباحثها من الفنون الأخرى، كما صنع ابن المعتز الذي ألف للبديع كتاباً وجعل الاستعارة تحته، في الوقت الذي لم ينتفع السكاكي بمنهج ابن المعتز ولا بغيره.

٩- تسليط الأضواء على خصيصة، مثل العدول الدلالي الذي تتمايز به بعض الظواهر البلاغية دون بعض، كاحتفاء المنظرين البلاغيين بالصورة المجازية دون الحقيقيّة هو من أسباب اضطراب النظرة لمراتب تلك الفنون، فتارة يجعلون التشبيه أصلاً من أصول البيان الثلاثة، وتارة يطردونه من البيان أساساً، وتارة يضطرون لجعله مقدمة لأحد أبواب البيان، وتارة يرون أنّه يحتل نصف كلام

العرب والاستعمال اللغوي، وأنه سبيل ملاك زمام التدرج في فنون السحر البياني.

١٠- من أسباب غياب مكانة مراتب العلوم البحث عنها في كتابات البلاغيين المنطقية، التي لم يكن هم أصحابها منصباً على بيان تلك المراتب إذا تعرضوا لها؛ لأنهم حاكموها إلى أدوات المنطق التي طبّقوها على الحدود والتقسيم والشواهد، وهي إن كانت مجدية في هذا الأخير، فإنها غير صالحة في بيان المزية؛ لأنّ المزايا فنية، والفنون لا تحاكم بأدوات منطقية، بدليل أنّنا نراهم إذا نظروا إليها من وجهة فنية خالفوا أسسهم المنطقية، كما صنع الخطيب - بمخالفته السكاكي - في تقديم المجاز العقلي.

ولهذا فإنّ النظر في كتب نقد القرن الرابع ككتابات ابن رشيق وغيره من الكتب التي سلمت من تلك الصبغة، أجدى في تلمس المراتب، فليس لنا إذا ما أردنا تذوق الأدب وتفهمه والتعمق فيه إلا أن نطالع كتب البلاغة الأولى؛ لنستلهم منها التعليل، فهو الذي فيه الفائدة لخدمة تراثنا العربي وإحيائه. أما التعلق بالكتب المتأخرة والاعتماد عليها في طلب المراتب ففيه من القضاء على الذوق الأدبي والإحساس الفني الشيء الكثير.

* * *

المصادر والمراجع

الكتب:

- الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٣٩٤هـ.
- إتمام الدراية لقراء النقاية، السيوطي، جلال الدين: تحقيق إبراهيم العجوز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- أساليب بلاغية الفصاحة المعاني، مطلوب، أ.د. أحمد: وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٨٠.
- أسرار البلاغة، الجرجاني، أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن: تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، نشر دار المدني، جدة.
- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، الشايب، أحمد: مكتبة النهضة المصرية، ط ١٢، ٢٠٠٣م.
- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب: مكتبة النهضة المصرية، ط ١٠، ١٩٩٤م.
- الإمتاع والمؤانسة، التوحيدي، أبو حيان علي بن محمد: المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم: صدر الدين علي بن أحمد: مطبعة النعمان، النجف، ط ١، ١٣٨٩م.
- الإيضاح في شرح مقامات الحريري المطرزي، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد: تحقيق أيمن بكيراتي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط ١، ٢٠١٤م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبدالرحمن: تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجبل، بيروت، ط ٣.
- البحر المحيط في التفسير، الأندلسي، أبو حيان: تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط ٢٠١٤هـ.

- بلاغة الخطاب وعلم النص، فضل، د.صلاح فضل: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.
- البلاغة العالية علم المعاني، الصعيدي، عبد المتعال: راجعه د. عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢، ١٤١١هـ.
- البلاغة بين عهدين، أحمد، د.محمد نايل: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.
- البلاغة عند السكاكي، مطلوب، أ.د.أحمد: مكتبة النهضة، بغداد، ط، ١، ١٣٤٨هـ.
- بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية، الجابري، محمد بن عابد: مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط٧، ٢٠٠٤م.
- البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، المراغي، الشيخ أحمد: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٠م.
- تلخيص المفتاح، القزويني، محمد بن عبدالرحمن، تحقيق محمد الرّعابي، مكتبة خزانة العلوم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٤٤هـ.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الهاشمي، أحمد بن إبراهيم: توثيق د.يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، الأخضرى، عبدالرحمن بن صغير: تحقيق د.محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي.
- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني الدسوقي، محمد بن عرفة: تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين: دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط ١، ١٣٨٧هـ.

- خطأ تقسيم البلاغة العربية إلى ثلاثة علوم، الحمزي، عارف: منتدى الفصحى على الشبكة العنكبوتية، <https://al-maktaba.org/book/31874/34488#p5>.
- دروس في البلاغة، البامباني، الشيخ محمّدي : مؤسسة البلاغ، ط ١ .
- دلالة الألفاظ على المعاني عند الأصوليين دراسة منهجية تحليلية، سعد، أ.د. محمود توفيق: مكتبة وهبة، ط ١، ١٤٣٠هـ.
- رسائل الجاحظ، الجاحظ، أبو عمرو عثمان بن بحر: تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٣٩٩هـ.
- سبويه إمام النحاة، ناصف، علي الجندي: تهضة مصر.
- شرح الفوائد الغيائية من علمي المعاني والبيان، زاده، طاشكيري أبو الخير عصام الدين: دار الطباعة العامرة.
- شروح التلخيص، التفتازاني وآخرون: مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر.
- الصبغ البديعي، موسى، الشيخ أحمد: دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ.
- الصورة البلاغية عند بهاء الدين السبكي، أبوعلي، محمد بركات حمدي: دار الفكر، عمّان، ط ٢، ١٤٠٣هـ.
- الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي، يحيى بن حمزة: ط.١، المكتبة العنصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، السبكي، أحمد بن علي: ضمن شروح التلخيص، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧م.
- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، حماسة عبداللطيف، محمد: مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- علم اجتماع الفنّ، العمر، معن خليل: دار الشروق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.
- علم البديع دراسة تاريخية وفتية لأصول البلاغة ومسائل البديع، فيود، أ.د. بسيموني عبد الفتاح: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ٢، ١٤١٨هـ.

- علم البيان دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، طبانة، بدوي: دار الثقافة، ط ٢، ١٩٦٧م.
- علم المعاني في الموروث البلاغي، طبل، حسن: مكتبة الإيمان بالمنصورة، ط ٢، ١٤٢٥هـ.
- علم المعاني، عتيق، عبدالعزيز: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان
- العلم بين الحقيقة والنمذجة، زروق، علي: موقع الحداثة وما بعد الحداثة على الشبكة الإلكترونية.
- علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، قاسم، د. محمد أحمد و ديب، د. محيي الدين: المؤسسة الحديثة، طرابلس، ط ١، ٢٠٠٣م.
- الفصل والوصل في القرآن الكريم من البنية الوظيفية إلى القوة الإنجازية - دراسة وظيفية تداولية في سورتي البقرة وآل عمران، لعباسة، صافي الدين: أطروحة دكتوراه من كلية الآداب واللغات بجامعة محمد سطيف، الجزائر، ٢٠١٩م.
- فنّ البلاغة، حسين، عبد القادر: عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤م.
- في خصائص النظام النحوي، الحربول، د. زكي بن صالح: كنوز المعرفة، جدة، ط ١، ١٤٤٤هـ.
- قضايا المصطلح البلاغي، كثرته وتعددته واشتراكه وصياغته، الصامل، أ.د. محمد بن علي: كنوز إشبيلية، الرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ.
- كتاب الصناعتين، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، تحقيق علي البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.
- الكليات، الكفوي، أبو البقاء: مؤسسة الرسالة، بيروت.

- اللغة العربية معناها ومبناها، حستان، تمام: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م.
- محاورات مع النثر العربي، ناصف، مصطفى: منشورات عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.
- مختصر المعاني، التفتازاني، سعد الدين: شرح تلخيص المفتاح، تحقيق ماهر عثمان، دار تحقيق الكتاب، إسطنبول، ٢٠١٨م.
- مدخل إلى البلاغة، أبو العدوس، د. يوسف: دار المسيرة، عمان، الأردن، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- المدخل إلى بلاغة أهل السنة، الصامل، أ.د. محمد بن علي: كنوز إشبيلية، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.
- المطول، التفتازاني، سعد الدين: مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠هـ.
- المعجم الفلسفي، صليبا، جميل: دار الكتب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م.
- المعنى في البلاغة العربية، طبل، د. حسن: دار الفكر العربي، مصر، ط ١، ١٤١٨هـ.
- معيار النظائر في علوم الأشعار، الزنجاني، عبد الوهاب: دار المعارف، مصر.
- المغني في أبواب التوحيد والعدل، الأسد آبادي، القاضي عبدالجبار: تحقيق عبد الحليم النجار وآخرون، الدار المصرية للتراث والترجمة.
- مفتاح العلوم، السكاكي، يوسف بن أبي بكر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- مفتاح المفتاح شرح مفتاح العلوم للسكاكي، القطب الشيرازي، محمود بن مسعود: مخطوط.
- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم المعاني والبيان والبدیع وإعجاز القرآن، ابن النقيب، أبو عبد الله جمال الدين: تحقيق د. زكريا سعيد، ط: دار الكتب العلمية - بيروت ط. الأولى ١٤٠٢هـ.

- من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث، مواني، عثمان: مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٨١م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجي، أبو الحسن حازم: تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط ٣، بيروت، ١٩٨٦م.
- مواهب الفتاح شرح مفتاح العلوم، المغربي، أبو يعقوب: شروح التلخيص، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، محمد بن علي: تحقيق د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
- نظرات في البلاغة والإسناد، الكردي، محمود عبدالرحمن: مطبعة السعادة بالقاهرة، ط ١، ١٩٧١م.
- النكت في إعجاز القرآن، الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى: تحقيق محمد خلف الله ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط ٣، ١٩٧٦م.

بحوث المجالات:

- أبعاد العلاقة الفعلية والمفترضة بين الفنّ والعلم، عزّة أحمد، خواني زهرة: مجلة النص، المجلد التاسع، العدد الثاني، الجزائر، ٢٠٢٢م.
- استراتيجية الإقناع في الخطاب اللغوي، المفهوم والآليات، عماريش، د. فاطمة: مجلة ضاد، المجلد ٢، العدد ٤، أكتوبر ٢٠٢١م.
- أسلوب الحقيقة بين النظرية والتطبيق، أبو سالم، أحمد فريد: مجلة العلوم العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٢٩، ١٤٣٤هـ.
- الإيجاز من الترف البلاغيّ إلى الانتحار الدلاليّ، رحلامي، يوسف: قراءة في تغيّر مراسم التقبّل، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العام الخامس، العدد ٤٠، الصفحات ٦٩ - ٨٠، الجزائر، أبريل، ٢٠١٨م.
- البلاغة بوصفها ميداناً معرفياً، شهاب، هناء وآزاد حسان حيدر: مجلة التربية والعلم، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة الموصل، المجلد ١٤، العدد ٣، ٢٠٠٧م.

- التمظهرات التداولية في البلاغة العربية، علم المعاني نموذجًا، خوية، د. رابح: مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، العدد ٣ ديسمبر ٢٠١٨م المركز الديمقراطي العربي، برلين، ألمانيا.
- الجهود البلاغية عند سيبويه، شاكر، حيدر محمد: مجلة جامعة زاخو، المجلد: ١ ب، العدد: ١، ص ١٤٣ - ١٦٠، العراق، ٢٠٠٣م.
- حقيقة علم البديع في ضوء دراسة تاريخية، العداد، ندى: مجلة جامعة حسن، المجلد ١٦، العدد ١، مايو ٢٠١٩م، كلية العلوم الثقافية، قسم دراسات غرب آسيا.
- الدلالة وجدل اللفظ والمعنى، سعدي، مليكة: مجلة عود الند الرقمية، العدد ٦١، ٢٠١١/٧٠م، الجزائر.
- الفن وتأثيره الاجتماعي والتربوي وإمكانية التفعيل في المجتمعات العربية، الياسري، د. صبا قيس: مجلة مركز دراسات الكوفة، مج. ١، ع. ٢١، ص. ٦٦-٨٨.
- القاعدة والذوق في بلاغة السكاكي، رزقة، د. يوسف: مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد السابع، العدد الأول، ١٩٩٩م.
- المدرسة الكلامية وإسهامات علمائها في تطور مسار البلاغة العربية، بلخيري، صليحة: مجلة تاريخ العلوم، العدد العاشر، ديسمبر ٢٠١٧م، جامعة العلوم الإسلامية، الجزائر.
- المذهب الكلامي مفهومه النظري وتحليلاته في شعر المتنبي الرحيلي، د. سعود بن دخيل: مجلة العلوم، جامعة الملك سعود، المجلد ١٤، العدد ١، ٢٠٠١م.
- مفهوم المرتبة النحوية، عوض، سامي، وحسن شحود: مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد ٢٤، العدد ١٧، ٢٠٠٢م.
- مقارنة تحليلية بين الخطاب وعلم المعاني، هاجري، حسين، والعاكوب، عيسى علي: مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، (٢٠٠٩ م) مج ٨٤، ج ٨٢١، ٣ - ٨٣٤.

المقالات:

- البلاغة العربية من جمال الذوق إلى جمود التعقيد، مجاور، د. عبد المنعم: مقال في شبكة الألوكة الإلكترونية، بتاريخ ٦/٨/١٤٤٤هـ.

- الحجاج البلاغي في التداولية الحديثة، الغيثي، شتيوي: مقال في صحيفة عكاظ بتاريخ الأحد ٦ أبريل ٢٠١٤م.
- دراسة تطور مباحث علم المعاني عند أعلام التراث العربي، الإيجاز أمودجًا، دياب، آلاء ياسين: مقال نشر في مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية العدد ٤٤، الجزائر، سبتمبر، ٢٠١٨م.
- علم المعاني بين النحو والبلاغة دراسة نقدية مقارنة للنشأة والتطور، الزهاوي، أحلام موسى حيدر: مقال منشور في مجلة المورد العراقية - العدد الثاني - سنة ٢٠٠٠م .

* * *

Sources and references

Books

- Al-Itqan fi Ulum al-Quran, al-Suyuti, Jalal al-Din. Cairo: al-Haya al-Misriyya al-'Āmma li-l-Kitab, 1394 AH.
- Itmam al-Dirayah li-Qurra al-Niqayah, al-Suyuti, Jalal al-Din, ed. Ibrahim al-'Ajuz. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, 1405 AH.
- Asalib Balaghiyyah: al-Fasahah wa al-Balaghah wa al-Ma'ani, Matlub, Ahmad. Kuwait: Wakalat al-Matbu'at, 1st ed., 1980.
- Asrar al-Balaghah, al-Jurjani, 'Abd al-Qahir b. 'Abd al-Rahman, ed. Mahmud Muhammad Shakir. Cairo: Matba'at al-Madani; Jeddah: Dar al-Madani.
- Al-Uslub: Dirasah Balaghiyyah Tahliliyyah li-Usul al-Asalib al-Adabiyyah, al-Shayib, Ahmad. Cairo: Maktabat al-Nahda al-Misriyya, 12th ed., 2003.
- Usul al-Naqd al-Adabi, al-Shayib, Ahmad. Cairo: Maktabat al-Nahda al-Misriyya, 10th ed., 1994.
- Al-Imta' wa-l-Muanasa, al-Tawhidi, Abu Ḥayyan 'Ali b. Muhammad. Beirut: al-Maktaba al-'Asriyya, 1st ed., 1424 AH.
- Anwar al-Rabi' fi Anwa' al-Badi', Ibn Ma'sum, Ṣadr al-Din 'Ali b. Ahmad. Najaf: Matba'at al-Nu'man, 1st ed., 1389 AH.
- Al-Īdah fi Sharh Maqamat al-Ḥariri, al-Matrazi, Abu al-Fath Nasir b. 'Abd al-Sayyid, ed. Ayman Bakirati. Abu Dhabi: Hayat Abu Zabi li-l-Siyaha wa-l-Thaqafa, 1st ed., 2014.
- Al-Īdah fi 'Ulum al-Balagha, al-Khatib al-Qazwini, Jalal al-Din Muhammad b. 'Abd al-Rahman, ed. Muhammad 'Abd al-Mun'im Khafaji. Beirut: Dar al-Jil, 3rd ed.
- Al-Bahr al-Muhit fi al-Tafsir, Abu Ḥayyan al-Andalusi, ed. Ṣidqi Muhammad Jamil. Beirut: Dar al-Fikr, 1420 AH.
- Balaghat al-Khitab wa-'Ilm al-Nass, Fadl, Ṣalah. Kuwait: al-Majlis al-Watani li-l-Thaqafa wa-l-Funun wa-l-Ādab, 1992.
- Al-Balagha al-'Āliya: Ilm al-Ma'ani, al-Ṣa'idi, 'Abd al-Muta'al, rev. 'Abd al-Qadir Ḥusayn. Cairo: Maktabat al-Ādab, 2nd ed., 1411 AH.
- Al-Balagha Bayna 'Ahdayn, Muhammad Nayil Ahmad. Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi, 1994.

- Al-Balagha 'Inda al-Sakkaki, Matlub, Ahmad. Baghdad: Maktabat al-Nahda, 1st ed., 1348 AH.
- Binyat al-'Aql al-'Arabi: Dirasa Tahliliyya Naqdiyya li-Nizam al-Ma'rifa fi al-Thaqafa al-'Arabiyya, al-Jabiri, Muhammad 'Ābid. Beirut: Markaz Dirasat al-Wahda al-'Arabiyya, 7th ed., 2004.
- Al-Bayan wa al-Tabyin, al-Jahiz, Abu 'Uthman 'Amr b. Bahr, ed. 'Abd al-Salam Harun. Cairo: Maktabat al-Khanji.
- Tarikh 'Ulum al-Balagha wa-l-Ta'rif bi-Rijaliha, al-Maraghi, Ahmad. Cairo: Maktabat Mustafa al-Babi al-Ḥalabi, 1950.
- Talkhis al-Miftah, al-Qazwini, Muhammad b. 'Abd al-Rahman, ed. Muhammad al-Za'abi. al-Madina al-Munawwara: Maktabat Khizanat al-'Ulum, 1st ed., 1444 AH.
- Jawahir al-Balagha fi al-Ma'ani wa-l-Bayan wa-l-Badi', al-Hashimi, Ahmad b. Ibrahim, ed. Yusuf al-Ṣumayli. Beirut: al-Maktaba al-'Asriyya.
- Al-Jawhar al-Maknun fi Ṣadaf al-Thalathat al-Funun, al-Akhdari, 'Abd al-Rahman b. Ṣaghir, ed. Muhammad b. 'Abd al-'Aziz Nasif. Markaz al-Basair li-l-Bahth al-'Ilmi.
- Ḥashiyat al-Dasuqi 'ala Mukhtasar al-Ma'ani li-Sa'd al-Din al-Taftazani, al-Dasuqi, Muhammad b. 'Arafa, ed. 'Abd al-Ḥamid Hindawi. Beirut: al-Maktaba al-'Asriyya.
- Ḥusn al-Muhadara fi Tarikh Misr wa-l-Qahira, al-Suyuti, 'Abd al-Rahman b. Abi Bakr Jalal al-Din. Cairo: Dar Ihya al-Kutub al-'Arabiyya, 1st ed., 1387 AH.
- Khata Taqsim al-Balagha al-'Arabiyya ila Thalathat 'Ulum, al-Ḥamzi, 'Ārif. al-Fasih Forum. Retrieved from: <https://al-maktaba.org/book/31874/34488#p5>
- Durus fi al-Balagha, al-Bamyani, Muhammadi. Muassasat al-Balagh, 1st ed.
- Dalalat al-Alfaz 'ala al-Ma'ani 'Inda al-Usuliyyin: Dirasa Manhajiyya Tahliliyya, Sa'd, Mahmud Tawfiq. Cairo: Maktabat Wahba, 1st ed., 1430 AH.
- Rasail al-Jahiz, al-Jahiz, Abu 'Uthman 'Amr b. Bahr, ed. 'Abd al-Salam Harun. Cairo: Maktabat al-Khanji, 1st ed., 1399 AH.
- Sibawayh: Imam al-Nuhat, Nasif, 'Ali al-Jundi. Cairo: Nahdat Misr.

- Sharh al-Fawaid al-Ghayathiyya min 'Ilmay al-Ma'ani wa-l-Bayan, Ṭashkubrizada, Abu al-Khayr 'Isam al-Din. Istanbul: Dar al-Ṭiba'a al-'Āmira.
- Shuruh al-Talkhis, al-Taftazani wa-Ākharun. Cairo: Matba'at 'Īsa al-Babi al-Ḥalabi.
- Al-Ṣibgh al-Badi'i, Musa, Ahmad. Cairo: Dar al-Katib al-'Arabi, 1388 AH.
- Al-Ṣura al-Balaghiyya 'Inda Baha al-Din al-Subki, Abu 'Ali, Muhammad Barakat Ḥamdi. Amman: Dar al-Fikr, 2nd ed., 1403 AH / 2009.
- Al-Ṭiraz li-Asrar al-Balagha wa-'Ulum Ḥaqaiq al-I'jaz, al-'Alawi, Yahya b. Ḥamza. Beirut: al-Maktaba al-'Unsuriyya, 1st ed., 1423 AH.
- 'Arus al-Afrah fi Sharh Talkhis al-Miftah, al-Subki, Ahmad b. 'Ali. Cairo: Matba'at al-Babi al-Ḥalabi, 1937.
- Al-'Alama al-I'rabiyya fi al-Jumla Bayna al-Qadim wa-l-Ḥadith, Ḥamasa, Muhammad 'Abd al-Latif. Cairo: Maktabat al-Imam al-Bukhari li-l-Nashr wa-l-Tawzi', 1st ed., 1403 AH.
- 'Ilm Ijtima' al-Fann, al-'Umar, Ma'n Khalil. Amman: Dar al-Shuruq li-l-Nashr wa-l-Tawzi', 2000.
- Ilm al-Badi: Dirasa Tarikhiyya wa-Fanniyya li-Usul al-Balagha wa-Masail al-Badi', Fayud, Bisuni 'Abd al-Fattah. Cairo: Muassasat al-Mukhtar li-l-Nashr wa-l-Tawzi', 2nd ed., 1418 AH.
- Ilm al-Bayan: Dirasa Tarikhiyya Fanniyya fi Usul al-Balagha al-'Arabiyya, Ṭabana, Badawi. Cairo: Dar al-Thaqafa, 2nd ed., 1967.
- 'Ilm al-Ma'ani fi al-Mawruth al-Balaghi, Ṭabl, Ḥasan. al-Mansura: Maktabat al-Īman, 2nd ed., 1425 AH.
- 'Ilm al-Ma'ani, 'Atiq, 'Abd al-'Aziz. Beirut: Dar al-Nahda al-'Arabiyya li-l-Ṭiba'a wa-l-Nashr wa-l-Tawzi'.
- Al-'Ilm Bayna al-Ḥaqiqa wa-l-Namdhaja, Zuruq, 'Ali. Online publication, Modernity and Postmodernity website.
- 'Ulum al-Balagha: al-Badi' wa-l-Bayan wa-l-Ma'ani, Qasim, Muhammad Ahmad, and Dib, Muhyi al-Din. Tripoli: al-Muassasa al-Ḥaditha, 1st ed., 2003.
- Al-Fasl wa-l-Wasl fi al-Quran al-Karim min al-Binya al-Wazifiyya ila al-Quwwa al-Injaziyya: Dirasa Wazifiyya Tadawuliyya fi Suratay al-Baqara wa-Āl 'Imran, La'babisa, Ṣafi al-

Din. PhD Dissertation, Faculty of Arts and Languages, University of Muhammad Stif, Algeria, 2019.

- Fann al-Balagha, Ḥusayn, 'Abd al-Qadir. Beirut: 'Ālam al-Kutub, 2nd ed., 1984.

- Fi Khasais al-Nizam al-Nahwi, al-Ḥaryul, Zaki b. Ṣālih. Jeddah: Kunuz al-Ma'rifa, 1st ed., 1444 AH.

- Qadaya al-Mustalah al-Balaghi: Kathratuhu wa-Ta'adduduhu wa-Ishtirakuha wa-Ṣiyaghatuhu, al-Ṣamil, Muhammad b. 'Ali. Riyadh: Kunuz Ishbiliya, 1st ed., 1428 AH.

- Kitab al-Ṣina'atayn, al-'Askari, Abu Hilal al-Ḥasan b. 'Abd Allah, ed. 'Ali al-Bijawi. Beirut: al-Maktaba al-'Asriyya, 1419 AH.

- Al-Kashshaf an Haqaiq Ghawamid al-Tanzil, al-Zamakhshari, Jar Allah Mahmud b. 'Umar. Beirut: Dar al-Kitab al-'Arabi, 3rd ed., 1407 AH.

- Al-Kulliyyat, al-Kafawi, Abu al-Baqa. Beirut: Muassasat al-Risala.

- Al-Lugha al-'Arabiyya: Ma'naha wa-Mabnaha, Ḥassan, Tammam. Cairo: al-Haya al-Misriyya al-'Āmma li-l-Kitab, 1979.

- Muhawarat ma'a al-Nathr al-'Arabi, Nasif, Mustafa. Kuwait: منشورات 'Ālam al-Ma'rifa, 1998.

- Mukhtasar al-Ma'ani, al-Taftazani, Sa'd al-Din, in Sharh Talkhis al-Miftah, ed. Mahir 'Uthman. Istanbul: Dar Tahqiq al-Kitab, 2018.

- Madkhal ila al-Balagha, Abu al-'Adus, Yusuf. Amman: Dar al-Masira, 1st ed., 1427 AH.

- Al-Madkhal ila Balaghat Ahl al-Sunna, al-Ṣamil, Muhammad b. 'Ali. Riyadh: Kunuz Ishbiliya, 1st ed., 1420 AH.

- Al-Mutawwal, al-Taftazani, Sa'd al-Din. Cairo: Matba'at Ahmad Kamil, 1330 AH.

- Al-Mu'jam al-Falsafi, Ṣulayba, Jamil. Beirut: Dar al-Kutub al-Lubnaniyya, 1970.

- Al-Ma'na fi al-Balagha al-'Arabiyya, Ṭabl, Ḥasan. Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi, 1st ed., 1418 AH.

- Mi'yar al-Nazzar fi 'Ulum al-Ash'ar, al-Zanjani, 'Abd al-Wahhab. Cairo: Dar al-Ma'arif.

- Al-Mughni fi Abwab al-Tawhid wa-l-‘Adl, al-Qadi ‘Abd al-Jabbar al-Asadabadi, ed. ‘Abd al-Ḥalim al-Najjar et al. Cairo: al-Dar al-Misriyya li-l-Turath wa-l-Tarjama.
- Miftah al-Ulum, al-Sakkaki, Yusuf b. Abi Bakr. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 2nd ed., 1407 AH.
- Miftah al-Miftah: Sharh Miftah al-‘Ulum li-l-Sakkaki, al-Qutb al-Shirazi, Mahmud b. Mas‘ud. Manuscript.
- Muqaddimat Tafsir Ibn al-Naqib fi ‘Ilm al-Ma‘ani wa-l-Bayan wa-l-Badi‘ wa-l-‘Jaz al-Quran, Ibn al-Naqib, Jamal al-Din Abu ‘Abd Allah, ed. Zakariyya Sa‘id. Beirut: Dar al-Kutub al-‘Ilmiyya, 1st ed., 1402 AH.
- Min Qadaya al-Shi‘r wa-l-Nathr fi al-Naqd al-‘Arabi al-Ḥadith, Mawafi, ‘Uthman. Alexandria: Muassasat al-Thaqafa al-Jami‘iyya, 1981.
- Minhaj al-Bulagha wa-Siraj al-Udaba, al-Qurtajanni, Abu al-Ḥasan Ḥazim, ed. Muhammad al-Ḥabib Ibn al-Khawja. Beirut: Dar al-Gharb al-Islami, 3rd ed., 1986.
- Mawahib al-Fattah Sharh Miftah al-‘Ulum, al-Maghribi, Abu Ya‘qub. Cairo: Matba‘at al-Babi al-Ḥalabi.
- Mawsu‘at Kashshaf Istilahat al-Funun wa-l-‘Ulum, al-Tahanawi, Muhammad b. ‘Ali, ed. ‘Ali Dahruj. Beirut: Maktabat Lubnan Nashirun, 1st ed., 1996.
- Nazarat fi al-Balagha wa-l-Isnad, al-Kurdi, Mahmud ‘Abd al-Rahman. Cairo: Matba‘at al-Sa‘ada, 1st ed., 1971.
- Al-Nukat fi I‘jaz al-Quran, al-Rummani, Abu al-Ḥasan ‘Ali b. ‘Isa, ed. Muhammad Khalaf Allah and Muhammad Zaghlul Sallam. Cairo: Dar al-Ma‘arif, 3rd ed., 1976.

Journals

- Ab‘ad al-‘Alaqa al-Fi‘liyya wa-l-Muftarada Bayna al-Fann wa-l-‘Ilm, ‘Izza Ahmad and Zahra Khuwani. Majallat al-Nass, vol. 9, no. 2, Algeria, 2022.
- Istratijiyyat al-Iqna‘ fi al-Khitab al-Lughawi: al-Mafhum wa-l-Āliyyat, ‘Ammarish, Fatima. Majallat Dad, vol. 2, no. 4, October 2021.
- Uslub al-Ḥaqiqa Bayna al-Nazariyya wa-l-Tatbiq, Abu Salim, Ahmad Farid. Majallat al-‘Ulum al-‘Arabiyya, Imam Muhammad b. Saud Islamic University, no. 29, 1434 AH.

- Al-Ījaz min al-Taraf al-Balaghi ila al-Intihar al-Dalali: Qiraa fi Taghayyur Marasim al-Taqabbul, Rahaymi, Yusuf. Jil Journal of Literary and Intellectual Studies, year 5, no. 40, pp. 69–80, Algeria, April 2018.

- Al-Balagha bi-Wasfiha Maydanan Ma'rifiyyan, Shihab, Hana and Āzad Ḥassan Ḥaydar. Majallat al-Tarbiya wa-l-'Ilm, University of Mosul, vol. 14, no. 3, 2007.

- Al-Tamazzuharat al-Tadawuliyya fi al-Balagha al-'Arabiyya: 'Ilm al-Ma'ani Namudhajan, Khuwayya, Rabih. Majallat al-Dirasat al-Thaqafiyya wa-l-Lughawiyya wa-l-Fanniyya, no. 3, Berlin, December 2018.

- Al-Juhud al-Balaghiyya 'Inda Sibawayh, Shakir, Ḥaydar Muhammad. Journal of Zakho University, vol. 1B, no. 1, pp. 143–160, Iraq, 2003.

- Ḥaqiqat 'Ilm al-Badi' fi Ḍaw Dirasa Tarikhiyya, al-'Addad, Nada. Journal of Hassan University, vol. 16, no. 1, May 2019.

- Al-Dalala wa-Jadal al-Lafz wa-l-Ma'na, Sa'di, Malika. Majallat 'Ūd al-Nada al-Raqmiyya, no. 61, Algeria, 2011.

- Al-Fann wa-Tathiruhu al-Ijtima'i wa-l-Tarbawi wa-Imkaniyyat al-Taf'īl fi al-Mujtama'at al-'Arabiyya, al-Yasiri, Šaba Qays. Majallat Markaz Dirasat al-Kufa, vol. 1, no. 21, pp. 66–88.

- Al-Qa'ida wa-l-Dhawq fi Balaghat al-Sakkaki, Rizqa, Yusuf. Majallat al-Jami'a al-Islamiyya, Gaza, vol. 7, no. 1, 1999.

- Al-Madrasa al-Kalamiyya wa-Is'hamat 'Ulamaiha fi Tatawwur Masar al-Balagha al-'Arabiyya, Balkhiri, Šaliha. Majallat Tarikh al-'Ulum, no. 10, December 2017.

- Al-Madhhab al-Kalami: Mafhumuhu al-Nazari wa-Tajalliyatuhu fi Shi'r al-Mutanabbi, al-Ruhayli, Sa'ud b. Dakhil. Journal of Sciences, King Saud University, vol. 14, no. 1, 2001.

- Mafhum al-Martaba al-Nahwiyya, 'Awad, Sami and Ḥasan Shuhud. Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research, vol. 24, no. 17, 2002.

- Muqarana Tahliliyya Bayna al-Khitab wa-'Ilm al-Ma'ani, Hajiri, Ḥusayn and 'Īsa 'Ali al-'Ākub. Journal of the Arabic Language Academy in Damascus, vol. 84, pt. 3, pp. 821–834, 2009.

Articles

- Al-Balagha al-‘Arabiyya min Jamal al-Tadhawwuq ila Jumud al-Ta‘qid, Mujawir, ‘Abd al-Mun‘im. al-Alukah Network, online article, 6/8/1444 AH.

- Al-Ḥijaj al-Balaghi fi al-Tadawuliyya al-Ḥaditha, al-Ghaythi, Shtaywi. ‘Ukaz Newspaper, 6 April 2014.

- Dirasat Tatawwur Mabath al-‘Ilm al-Ma‘ani ‘Inda A‘lam al-Turath al-‘Arabi: al-Ījaz Namudhajan, Diyab, Āla Yasin. Jil Journal of Literary and Intellectual Studies, no. 44, Algeria, September 2018.

- ‘Ilm al-Ma‘ani Bayna al-Nahw wa-l-Balagha: Dirasa Naqdiyya Muqarana li-l-Nasha wa-l-Tatawwur, al-Zahawi, Ahlam Musa Ḥaydar. al-Mawrid Journal, Iraq, no. 2, 2000.

* * *